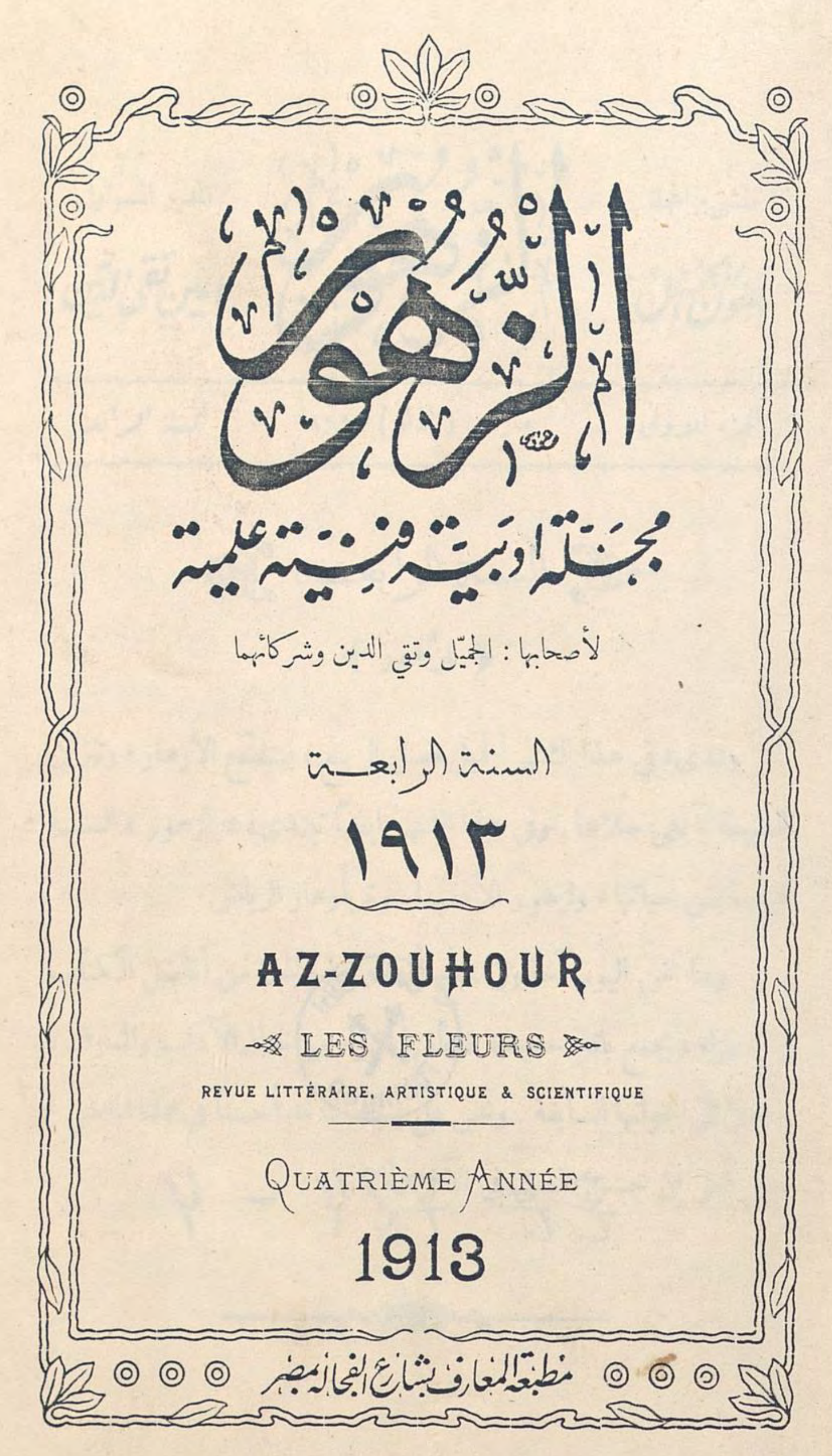


الزهور

مجلة ادبية فنية علمية

لأصحابها : الجميّل وتقي الدين وشركائهما

السنة الرابعة

١٩١٣

AZ-ZOUHOUR

LES FLEURS

REVUE LITTÉRAIRE, ARTISTIQUE & SCIENTIFIQUE

QUATRIÈME ANNÉE

1913

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر


Univ. Bibl.
Tübingen

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الاول　مارس (اذار) ١٩١٣　السنة الرابعة

السنة الرابعة

(للزهور)

يبتدىء في هذا الشهر الجميل فصل الربيع ، فتتفتّح الأزهار ، وتتزيَّن الطبيعة بأبهى حلاها . وفي هذا الشهر ايضاً تبتدىء « الزهور » السنة الرابعة من حياتها ، ولزهور الأدب أسوة بأزهار الرياض

وها نحن اليومَ آخذون ، مع أنصار هذه المجلة من أفاضل الكتّاب والشعراء ، بجمع باقةٍ جديدة نقتطفها للقراء من جنان الآداب والمعارف ، لتُضمَّ الى اخواتها السابقة . ونحن على رجاء اننا قد أحسنّا في عملنا الماضي ، وعلى أمل ان نحسنَ العمل في الآتي ؟



القسطنطينية

بناها قسطنطينُ على أنقاض بيزنطية . كانت عاصمةً لمملكة الرُّوم الشرقية ، كما كانت رومة قاعدةً للامبراطوريّة الغربية . اختان تشابهتا بالعزّ ، وعاشتا زمناً ، لكلٍّ مجدُها المؤثل ، وجلالها المهيب . وهي كرومة قائمة على سبع تلالٍ مرتفعات ، في مثل شبه جزيرة مثلَّثة الزوايا يحيطُ بها الماء من جهاتٍ ثلاث : تطلُّ على بحر مرمره من الجنوب ، وتُماشي البُسفور من الشرق ، وتامس خليجَ قرن الذهب من الشمال . ثمَّ ينبسط اليها من الغرب سهلٌ يقف حذاءها ، متهيّباً جلالها ، فتُشرف عليهِ من مكانها العالي كالنسر باسطاً جناحيهِ

حصَّنها الرُّوم منذ القِدَم ردًّا لغارات الاعداء ، وعزَّزها الترك على أثرهم صدًّا لهجمات الطامعين . فبنى الأوَّلونَ سورها وابراجها ، وشادَ الآخرون حصونها وقلاعها . ولكن الطبيعة بزَّت أولئك وهؤلاءِ في كل ما بنوهُ وشادوهُ ، فمنَّعت موقعها بالهضاب المتسلسلة ، والبواغيز الضيّقة ؛ فاذا هي كعقاب الجوّ ، لا تؤخذ ، واذا هي ، كحلقِ الليث ، لا تباح

أرادها العرب ، يوم كانوا يستطيعون ما يريدون ، ففشلوا ، وحاصروها حين لم تكن مدافع ولا قنابل ، فارتدّوا عنها عاجزين . وظلت تردُّ بمنعتها غوائل الاعداء ، وتدافع بعزّتها كوارث الأيام ؛ الملك عزيز بها ، وسلالة بانيها تتوارث مجدها وتتنعَّم بجاهها ، حتى دبَّ الضعف الى الرُّوم ، وتغلغلَ الوهَن في نفوسهم ، يوم ابطرتهم نعمة العيش ،

واسكرتهم غبطة السلطان ، فمشى عليها محمد الفاتح ، وحاصرَها من البحر والبرّ ، ثم اخذها عنوة واقتداراً في سنة ١٤٥٣

***

محمدُ ! كسرتَ جناحَ النسرِ ، فأهوى من سمائه ، واقتلعتَ ناب الليث ، فاستبحتَ حماه !

بناها قسطنطين ، واستأثرتَ بها أنت ؛ كانت للرُّوم فصيَّرتها الى الترك ؛ ما خفق عليها الصليب ، حتى رفعتَ فوقها الهلال ؛ بينا هي قاعدة الامبراطورية ، اذا بها دار الخلافة !

فتحتَها بيأسك ، وصنتها بحولك ومجدك ، ثمَّ توارثها ابناؤك من بعدك !

ما نمتَ عنها ولكن نامَ بنوك !

عجباً ينام الترك عنها ، وعيون الروم يقظى عليها !

أمغتصبَ الروم ملكهم ، قمِ انظر الى بقايا ملكك العظيم

النسرُ الذي اصطدتَهُ قد استنسرت أفراخهُ ؛

والليث الذي اقتنصتَهُ قد استأسدتْ أشباله ؛

البلغارُ على ابوابِ فرزق ، والرومُ أمام الدردنيل ! !

***

ليست فروقُ عروسَ الشرق وحدَه ، بل هي عروس الدنيا جميعها.

خُلقت صورة مكبَّرة للجمال ، ومثالاً مصغَّراً لجنان النعيم !

هي إنجيل الطبيعة أُنزلت فيهِ آيات الحسن ، ونمَّق الدهر صفحاتهِ

بطراز البديع ! فيهِ وحيُ الحب ، والهام الشعر ؛ وكلّ لفظةٍ يحتويها ، تحتوي ألف معنىً من معاني العظمة والجلال !

فَرُوقُ درّةٌ في فم البُسفور ، ولؤلؤة في عُنق الدردنيل ؛ هي عقد من الماس يصل بحر مرمره بالبحر الأسود ؛ هي تاجٌ من الجوهر على مفرقِ آسيا وأوروبا ؛ هي كوكب وقَّاد أطلعتهُ الطبيعةُ بين الشرق والغرب !

ربِّ ان سمحتَ بأن نَعْبُدَ الجمالَ ففروق السجودُ والعبادة !

* * *

وقفتُ على البوسفور حيث تمشّى من البحر الاسود ، وماشيتهُ الى حيث التقى بجحر مرمره ، فلم أجد منظراً أعظم تأثيراً في النفس ، من مشية ذلك البوغاز الضيق ، العميق ، الطويل ، المتلوّي في مسيره ، كما تتلوّى الأفعى في زحفها

أحاطت بهِ من على ضفتيهِ : الأسيوية والأوروبية ، ربوع خضراء زاهية ، ومغانٍ مشجّرة تعانِق سهولها الماءَ في ذلك الوادي ، ثم تتدرّج في الصعود حتى تراها تلالاً عالية ، قريبة المآخذ ، متصلة الرؤوس بالكعاب كالرمح أنبوبٌ على أنبوب

وأطلَّت مآذن الجوامع على قرنهِ الذهبي فتماوجت خيالاتها سابحةً في مياههِ الرائقة ؛ وتراكضت أشعة الشمس اليهِ ، فانعكست عنهُ الى جانبيهِ ، فتلهّى النسيم يلعبُ بها ، كما يتلهّى وليدٌ يلعبُ بانعكاس النور عن المرآة

ورأيتهُ ، ليلةَ عيد الدستور ، في أوائل الصيف ، وقد راق الجوُّ

وصفا أديمُ السماء، وتلألأت الأنوار على ضفتَيهِ، ومشت فيهِ البواخر مشعشعةً بالأضواء، ونزلت اليهِ نجوم الفلك تغتسل فيهِ الى جانب الأشعة المتحدرة اليهِ من برَّي آسيا واوروبا، في وسط الأنوار المتدفقه عليهِ من تلك البواخر السارحات الرائحات؛ فأخذ هذا المنظر بمجامع قلبي، وسكتُّ مخافة ان يشغلني الكلام بوصفهِ، عن التمتع لحظةً بجمالهِ؛ غير اني أسررتُ الى نفسي هذه الكلمات:

طوبى لمن دفنهُ عبد الحميد في البُسفور فقد ذهب الى الجنة من أقرب طريق!

***

أكان البسفور طريقَ الأحرار الى الجنة، كما كان طريقَ وليِّ الدين بك يكن الى سيواس؟؟؟ لست أدري! غير ان وليَّ الدين نفسهُ يقول في وداع فروق يوم نفيَ منها:

«... واذا نحن نسير بين منظرين ما تفتحت الأعين على أحسن منهما: شطَّي آسيا وأوروبا، يتناغيان بالمصابيح. عاشقان ضنَّت عليهما الاقدار بالتلاقي. مررنا بهما أم مرَّا بنا. لا أعلم. صحائف أجاد الحسن فيها منمقةُ. نشرت فانطوت. زلت عنها الأبصار وضاقت عنها الفهوم. فرائيها متخيّل وعارفها متوّهم. ما شكَّ ناظر الى السماء واليها ان تلك المصابيح كواكب سقطت عليها. عهدي بها في حالتيها، بينا هي عرين اذا بها كناس. يخالط فيها كل زئير ليث عندلةُ عندليب. تتجاور بها مسارح آرام ومصارع كرام. تسقى من ماء معين، ومن دم مهراق. تطالعها

وجوه ضاحكة ، وأخرى مجهشة . تقسمتها مواسم الصبا فهي تارة مشتىً ، وآونةً مصيف ، وحيناً مربع . جنة يحرسها حارس جهنم . فروق يا ظلوم. خذي روحي فما هبطت عليَّ الاَّ فيكِ . كان بكِ مهدي . وأريد أن يكون بكِ لحدي . الوداع الوداع يا فروق . وسلام الله عليكِ وعلى بنيك كلهم . هذا طريد جديد . مظلوم يلحق بمظلومين . يخرجونني منكِ ليلاً لأراكِ في ثوب حدادكِ . أمن أجلي كل هذا ؛ كلا . بل حدادكِ على اختكِ الغزالة . أنا أضْيعَ فيك من دمعة على خد مهجور . أنا أهون على الدهر من ذرّة من ذراتك ضلّت بين ثنيات الأثير . . . . . »

ما هذهِ بلاغة الواصف ، إنْ هيَ إلاَّ حقيقة الموصوف !

*
* *

رويداً رويداً أيها الدَّهر ! ترفَّقْ بفروق ؛ أقصرْ خطوَكَ عنها . فروقُ بنت الأجيال الطويلة ؛ مدينة الأمبراطرة ، وكرسيّ السلاطين . أفي كلّ يومٍ نكبةٌ تروعها ، وفي كلّ ساعةٍ كارثة تساق اليها ؟ بنوها يتآمرون على بنيها ؛ وشعوبها تقاتل الشعوب دفاعاً عنها . لوّثوا محاسنها بالدمِ المسفوك على مذابح المطامع والأنانية ؛ ضجَّت الأرض لهول ما تلقاهُ من فظائع حربهم ، واتخمت ذئابُ الفلاةِ من اشلاء قتلاهم !

رويداً أيها الدهر ! هل أتعب مرورُ الأجيالِ كاهل بيزنطية ؟

خذ بيدها ! ان أنقاضها تحرّك تحت فروق ! !

مدنية المصريين الأقدمين

نقتطف الصفحات التالية من كتاب في « تاريخ مصر القديم والحديث [١] » لحضرة الكاتبة الفاضلة السيدة هند كريمة سعادة اسكندر عمون بك المحامي الشهير. وقد بحثت حضرتها بحثاً دقيقاً في مدنية مصر، في أزمنتها الأولى، فتكلمت عن الديانة والشرائع والعلوم والآداب والصنائع والكتابة كلاماً كثير الفائدة ولكننا اقتصرنا على نقل ما ورد فيهِ عن ديانة المصريين وشرائعهم. قالت:

سبق قدماء المصريين شعوبَ العالم قاطبةً في مضمار التمدُّن والترقي، وأدركوا من العلوم والمعارف والآداب مالم تبلغ اليهِ أُمةٌ في تلك الأعصر الخوالي، حتى انه ليصحُّ ان تُعدَّ المدَنيـةُ المصرية أماً لمدَنيات شعوبٍ كثيرة أخذت عنها واقتدت بها. وقد خلف لنا المصريون من الآثار المجيدة ما ينطق بما كانوا عليهِ من التقدُّم الأدبي والمادي والصناعي: ولا يزال علماء العاديات يكتشفون في أيامنا هذهِ أدلةً على أزدهار المدَنية المصرية القديمـة. وفي ما يلي شيءٌ مما كانت عليهِ حالةُ مصر الدينيـة والأدبية والمادية:

الديانة المصرية — كان قدماء المصريين من أشدّ الأمم تمسكاً بالدّين؛ يدلُّ على ذلك المعابد والهياكل الكثيرة التي لا يزالُ معظمها قائماً حتى يومنا. وأصلُ دينهم مجهول، ولعلهم أتوا بهِ من آسيا عندما هاجروا منها الى مصر. وكانوا في بداية أمرهم موحدين يؤمنون بالهٍ واحدٍ أزليّ مبدع الأرض والسماء، تعجز العقول عن إدراك جوهرهِ. ثم أَخذوا

(١) يطبع اليوم في مطبعة المعارف بمصر

يعبدون ذلك الالهَ في مظاهرهِ المتعدّدة؛ فرمزوا الى كل صفة من صفاتهِ بتمثالٍ أو حيوانٍ أو نباتٍ أو غيرِ ذلك؛ فأدّى بهم هـذا الى الشركِ والوثنية؛ وقسموا الآلهة الى ثلاث طوائف: آلهة الموتى، والآلهة الشمسية، وآلهة العناصر. ومن أعظم آلهـة الموتى «أوزيريس» إلهُ الخير ورمزُهُ النيل، و «وإيزيس» إلاهة الخصب والحياة ورمزُها التربةُ السوداء، و «أنوبيس» حافظ الموتى ورمزُهُ ابن آوى. ومن أعظم الآلهة الشمسية «رع» الالهُ الاكبر ورمزهُ الشمس، و «تم» إلاهة الغروب ورمزها العجل منيفس. أما آلهـة العناصر فأعظمها «نو» إِلهُ الماء ورمزُهُ المحيط، «وتيفون» إِلهُ الشر والفاقة ورمزُهُ الصحراء. وقد تختلف اسماء هذهِ الآلهة باختلاف الاعصر والأماكن التي عُبدت فيها. وكان قدماء المصريين يعتقدون أن آلهتهم تتزاوج، وتتألم، وتموت، وترعى حقوق الجوار، وتأكل وتشرب، فكانوا يقرّبون لها القرابين والضحايا من الحيوان والحبوب والأثمار. وكانوا يعتقدون أيضاً أن مقام الإلهِ بالنسبة الى سائر الالهة هو مقام البلد المعبود فيهِ بالنسبة الى سائر البلدان؛ فعندما سيطرت طيبة مثلاً على وادي النيل، جعلت إِلهها أمون سيداً لجميع الآلهة. ولما دالت دولتهـا، أصبح أمون في المرتبة الثانية بين الآلهة.

ومن أشهر الرموز التي أُلّهت وعبدت ابن آوى رمز أنوبيس، والعجل «أبيس» والجُعَل وكلاهما رمز «فتاح» وغيرها من الحيوانات كالقرد والهرّ والتمساح وفرس الماء والبازي والجمَل أي الجعران. وكانوا يعبدون العجل مدة ٢٥ سنة فاذا لم يمت بعد هذهِ المدة أخذوهُ في مهرجان عظيم

وأغرقوهُ في النيل ، ثم أخرجوهُ وحنَّطوهُ ودفنوهُ في مدفن العجول بقرب سقارة ولبسوا عليهِ شعائر الحداد الى أن ينتقوا لهم عجلاً آخر يعبدونهُ

وكانوا يحزنون حزناً شديداً عند هبوط منسوب النيل ويقدمون لهُ القرابين استرضاءً . وفي إبّان فيضانهِ كانوا يطرحون فيهِ فتاة عذراء يسمونها « عروس النيل » وقد بقيت هذهِ العادة متبعة حتى نسخها عمرو بن العاص لدُن فتح مصر . وعيد وفاء النيل من المواسم التي يحتفل بها حتى اليوم في البلاد

ولما دخل مصر اليونانيون ثم الرومانيون أخذ كل فريق عن الآخر بعض معبوداتهِ ؛ وصار المصريون يؤمنون بوحي أبولّون ومينرڤا وديانا وجوپيتر (المشتري) ومارس . ثم ظهرت النصرانية وانتشرت في العالم فاعتنقها فريق من المصريين . وظلت تنتشر في البلاد حتى أصبحت دينها الرسمي ، واضمحلت الوثنية في مصر بنهي طيودوسيوس عنها . وفي سنة ٦٤١ فتح عمرو بن العاص مصر فدخلها معهُ الاسلام

وقد اعتقد قدماء المصريين بالخلود والثواب والعقاب . وكان الإلهُ الديان اوزيريس ، وكانت مملكتهُ اولاً في بطائح الدلتا . فلما ضاقت برعاياهُ نقلهم منها الى السماء ، وسمّى مملكتهُ الجديدة « حقول الفول » إشارة الى خصبها . وكان قومهُ هناك متمتعين بالسعادة التامة والملذات على اختلاف أنواعها ، يطوفون مع الإله « الشمس » في زورقهِ ولا ينالهم أذًى . ولم يكن يتمكن من الوصول الى مملكة الاموات هذهِ الاَّ من حنّطهُ قومهُ وأقاموا له بعض الطقوس الدينية . فمن تمَّ لهُ ذلك بُعث من

قبرهِ وسافر الى حقول الفول ، فان كان عاقلاً شجاعاً تغلب على ما يلاقيهِ من المصاعب ، وبلغ سالماً مملكة الاموات حيث يمثل بحضرة الديّان أوزيريس وأعضاء مجلسهِ الاثنين والاربعين . فيسمع المجلس اعترافهُ ، ثم يزن الإلهُ « توت » قلبهُ بميزان الحق ، فان كان صالحاً أجازوا لهُ الاقامة معهم والا حكموا عليهِ بالنفي المؤبد والتعذيب الأليم . وكان الماثل بحضرة الديان ينفي عن نفسهِ اولاً ارتكاب المحرَّمات ، فيقول : «لم أُعذّب الارملة ، ولم أخدع أحداً ، ولم اكذب قط ، ولم أعبث بالحق ، ولم أعرف الخيانة ولا الكسل ولا التعجرف ، ولم أُدنس الاشياء المقدسة ، ولم أسعَ الى ضرر العبد لدى مولاهُ ، ولم أُجوّع أحداً ، ولم أُبكِ أحداً ، ولم افتك بأحد غدراً أو ظلماً ، ولم أحمل أحداً على ارتكاب جريمة القتل ، ولم أحمّل العامل فوق طاقتهِ ، ولم أغتصب اللبن من فم الرضيع ، ولم أشهد زوراً ، ولم أسرق خبز المعابد ، ولم أُحرز مالاً حراماً الخ »

ثم يعدّد بعد ذلك الحسنات التي أتاها فيقول : «لقد عشت بالعدل ، وتغذيت بالحق ، ونشرتُ الافراح في كل صوب ، وأطعمتُ الجياع ، وسقيتُ العطاش ، وكسوتُ العراة ، ومددتُ للغرقى يد النجاة »

شرائع المصريين وآدابهم — من أمعن النظر في الذنوب والآثام التي تتنصل منها الموتى وفي الصالحات التي تدَّعيها يوم المعاد ، أدرك ما كان عليهِ المصريون من الاخلاق الراقية والمناقب الحميدة . وقد عثر الباحثون في الآثار المصرية على كتابات عن شرائع المصريين وآدابهم نقتطف منها ما يلي :

كان يُعاقَب بالقتل كلُّ من يحلف يميناً كاذبة أو يحنث بيمينهِ ؛ ومن يرى رجلاً يعتدي عليهِ معتدٍ ولا يغيثهُ وهو قادرٌ على ذلك ؛ فان لم يقدر ولم يرفع أمر المعتدي الى أولياء الأمر عوقب بالجلد ومنع عنهُ الطعام ثلاثة أيام . ويُعاقب بالقتل أيضاً كل من يرفع الى قاضٍ وثيقةً كاذبة ؛ ومن يقتل عمداً سواءٌ كان المقتول عبداً أو حرّاً ؛ وكذلك من يقتل حيواناً مقدساً

وكان يعاقَب بقطع اللسان كل من يُفشي أسرار الحكومة للاعداء ؛ ومن لم يكن لهُ عملٌ او حرفة يحترفها لتحصيل رزقهِ ؛

ومن شرائعهم ايضاً ان ناكر الدَّين يُصدَّق بيمينـهِ اذا لم يكن عند المدَّعي سندٌ يؤيد دعواهُ ؛ وان للدائن حقاً على ممتلكات المدين لا على شخصهِ ، فلا يجوز للدائن ان يسجن المدين او يمسَّهُ بأذى لانهُ تابع لوطنهِ يخدمهُ في الحرب والسلم

ولم يكن يجوز لاحدٍ ان يحترف حرفةً غير حرفة أبيهِ فكانوا بذلك يتوارثون الصنائع والحرف

وكانت المرأة المصرية حرة كنسائنـا اليوم ، نصيبها من الارث نصيب الرجل ، وقد أباح لها شرعهم ان تتصرف بارثها بعد زواجها كيف شاءت ، ولقبوها وهي مزوجة « بسيدة البيت »

هند عموده



انتقام النسيم

من أرباب النظيم

لسعادة سليم بك عنحوري الدمشقي شهرة واسعة في الأدب . فهو شاعر قدير وكاتب مجيد ، وله من الآثار في هاتين الصناعتين ما تناقلته المجلات والصحف العربية من كل مكان . وقد أراد حضرته — وهو نزيل مصر اليوم — ألاّ يحرم الزهور من نفثاته ، فبعث اليها بالمقال التالي ، قال :

لستُ أدري وأبيك ما سرُّ هذه الصحبة القديمة القائمة بين الشعراء والنسيم منذ عهد امرىء القيس فآتياً ، ولا ماهيـة تلك العلاقة الرابطة بين هذه النسمات الرقيقة ، وبين رصفائي امراء الكلام ، فانه لم يكفهم ، وهم أرباب الذوق ، وسادة اللطف ، بل هم وحدهم «الناس» على مذهب شاعر الامير الذي يقول :

جاذبتني ثوبي العصيَّ وقالت   أنتم الناس ايهـا الشعراء

أنهم يتنسمون النفحات الهابة من مواطن الاحبة ، فيتبردون بانفاسها التي توليهم طيباً ، وهم يكسبونها من زفراتهم المتوهجة بالوجد شرراً ولهيباً . ولم يرضهم ان يتخذوا النسيم بريداً ورسولاً يحملونه السلام ، ويستقضونه لبانات الغرام ، وهم يكلمونهُ بصيغة الأمر كانهُ بعض الخدَّام كما فعل صاحبنا ابن زيدون في قولهِ يتغزل بولاَّدة الاندلس

ويا نسيم الصَّبا « بلّغ » تحيتنا   من لو على البعد حيًّا كان يُحيينا

بل يعرّضونه بسبب هذه الرسائل السمجة للخزي والطرد والحجاب كما فعل ابن ماني ، بحسب اقراره عن نفسه اذ قال :

حجبوها عن الرياح لأني . قلتُ يا ريح بلّغيها السلاما
لو رضوا بالحجابِ هانَ ولكن منعوها عند الوداع الكلاما

فانهُ لولا رسالتهُ تلك ما حجب الرياح أحد عن الاستمتاع بملامسة ذلك المحيّا الفتان ، ولم يقنعهم انهم يبثّون تلك النسمات الشكوى ، فتقاسمهم البلوى ، وتشاطرهم الكمد ، وتعتلّ لاعتلالهم ، وترثي لحالهم ، كما جرى لابن هاني القائل :

ومرَّ بيَ النسيمُ فرَقَّ حتى كأني قد شكوتُ اليه ما بي

اي نعم ، لم يكفهم ولم يغنهم كل هذا حتى زادوا — على ما اشتهر من رقتهم — غلاظةً ، وتمادوا بفضولهم حرصاً وأنانية ، فطفقوا يسومون تلكم النفحات الطيّبات حملَ ما تتقاصر دونهُ هممُ الرجال وتنوء ببعضهِ قلل الجبال . فقد زيّن ، للوزير مجد الدين الطغرائي ، الغرورُ بما نال من شرف الوزارة ، مضافاً الى مزية اللسن ، وحلاوة النظم ، وشدة العارضة ، أن يسخّر الريح التي يلوح من تضاعيف كلامهِ انهُ طالما استخدمها في قضاء أغراضهِ الغرامية ، وحاجات نفسهِ السرية ، بأن تقيم بين الاصداغ والطرر وتشوشها ، وتنتهز الفضلات ، وتحين الفرص لتحوم حول الثغور وتقبّلها . ثم تسلك بين الأجسام والغلائل ، وتستبضع من ذلك الحانوت الحافل بكل شائقٍ رائق ، ما يطيب بهِ خاطر الوزير ، وترفرف عليهِ أمانيهُ ، ثم تأتيهِ على مهلٍ ، مستترة بأجنحة الليل الهادي ، فتنبههُ من نومهِ اللذيذ الهنيء وتنتفض عليهِ انتفاضاً ، لعل نفحة الطيب المستمدة من ذلك البدن الخصيب الرطيب تقضي لبانات فؤادهِ المعنى الكئيب . وان كنت ،

أيهذا القارئ اللبيب ، في شكٍّ مما أقول توهماً منك أن رجلاً كالطغرائي الذي يقول

أصالة الرأي صانتني عن الخطَلِ　　وحلية الفضل حلّتني لدى العطلِ

لهو أعقل وأدهى وأمتن وأرصن من أن يسترسل الى مثل هـذا الهذر والفضول ، فاليك أبياتهُ بحرفها الواحد تقرأها فتزداد يقيناً :

بالله يا ريح ان مُكّنتِ ثانيةً　　من صدغهِ فاقيمي فيهِ واستتري

وراقبي غفلةً منـه لتنتهزي　　لي فرصةً وتعودي منه بالظفرِ

وباكري ورد عذبٍ من مقبّلهِ　　مقابل الطعم بين الطيب والخصرِ

ولا تمسّي عذاريهِ فتفتضحي　　بنفحة المسكِ بين الوِرد والصدرِ

وان قدرتِ على تشويش طرّتهِ　　فشوّشيها ولا تبقي ولا تذرِي

ثم اسلكي بين برديهِ على مهلٍ　　واستبضعي واثني منهُ على قدرِ

ونبهيني دون القوم وانتفضي　　عليّ والليل في شكٍّ من السحرِ

لعلَّ نفحـة طيب منكِ نائبةٌ　　تقضي لبانة قلب عاقرِ الوطرِ

ولقد صار — جنابهُ العالي — مثالاً حسناً جرى عليـهِ بعدهُ كثيرون، وفي جملتهم المرحوم فرنسيس مراش الحلبي . بل زاد هذا على طنبوره نغمة اخرى اذ قال :

نسيم الصَّبا ان سرتِ بين نهودها　　خذي ليَ عرفَ الياسمين وعرّجي

وان ترفعي ذاك اللثامَ فتلثمي　　لماها فباللهِ اذكري قلبيَ الشجي

ومن العجيبِ أنَّ أحد هؤلاء المتنطسين تمادى في تحامله ، وزاد في غلوائهِ ، حتى أتهم تلك النسماتِ الطيبات بارتكاب الجنايات اذ قال :

خطراتُ النسيم تجرحُ خدّيـ　　ـهِ ولمسُ الحرير يُدمي بنانَهْ

كأنَّ الرياح ذات سيوفٍ ورماح ، تجرح من تحبُّ ، وتقتل من تريد بلا حساب ، وما عليها من جناح . بل أضاف بعضهم على ذلك فحسبها ممن يحبلنَ ويلدنَ فقال :

قد رقَّ حتى خلتُهُ بحشى النسيم تخلَّقا

فهل سمعت بربّك أو رأيت مثل هذه الصقاعة والرقاعة ؟ ؟ ؟

والانكى من كل هذا أن تلك الحالة على بردها وثقلها ، وانتقادنا الشديد على أصحابها ، قد لجَّ بنا داعي التقليد والحرص على التحدي ، أن نتلبس بها ، ونزاولها فقلنا ، ونحن نتوب الى الله من هذه الوصمة :

يا نسيماً يأوي الغداة جِنانا حُورها العِين يستلبنَ الجَنانا

مازَجتهُ أجسامنا وهي قَتلى فاستردَّت أرواحها موتانا

وسرى في مسامّ صرعى الغواني فاغتدى الكلُّ ناشطاً جذلانا

هل تموَّجتَ فوق سوسَن خدٍّ ضمّ ورداً يجاور الاقحوانا

او لمستَ النسرينَ حول جبينٍ ألبستهُ ألبابنا التيجانا

او تسللتَ بين بُردٍ ونهدٍ فوق صدرٍ رمَّانهُ قد رمانا

اوتطرَّقتَ الاعضادتمشي الهوينا وحللتَ العروش والايوانا

وسرقتَ الشذا المعطّرَ منها وانتشقتَ الخزام والسيسبانا

وأتيتَ الرفاقَ تختال عُجباً ثملاً من أنفاسها نشوانا

تتهادى ما بين نفحٍ وطيبٍ صيَّر العقل صاحياً سكرانا ؟

اي وربّي فعلتَ هـذا والاَّ من تراه أولاك ما أحيانا ؟

ثم انظر ناشدتك الله الى التحكم البادئ من شاعرٍ آخر يخاطب نسيماً جاءهُ من نجد :

ألا يا صبا نجدٍ متى جئتَ من نجدِ   لقد زدتني واللهِ وجداً على وجدِ

ومَن تراهُ خوَّل الشعراءَ هذا الحق فيسألون النسيم كيف راح ، ومتى جاءَ ، ثم يقترحون عليهِ أموراً ، ويتهمونهُ بأمور ، ويعنتونهُ اعناتاً طالما شكا الى الله منهُ في هذا العصر ، عصر الحرية والنور ، وهم عنهُ متغافلون ، وفي طغيانهم مستدرجون . وهل يعجب أهل مصر بعد هذا اليوم — وهي كعبة الشعراء ومنبت البلغاء — أن يأتيهم النسيم في شهر افريل (نيسان) سموماً ، لا بارداً ولا كريماً ، فيجعل جناتهم جحيماً ، وماءَ نيلهم حميماً ، وهو موتور من أهل النظام ، مظلوم يطلب الانتقام ؟ ؟

سليم عنحوري

أقوال في المرأة

« المرأة اكمل المخلوقات » كنفوشيوس

« المرأة تعلّمنا الظرف والأدب » ڤولتير

« ليس لروايات شكسبير أبطال بل بطلات » رسكن

« المرأة أفقدتنا الفردوس وهي وحدها قادرة ان تعيدنا اليهِ » هوتير

« تكون المرأةُ على اكملها عند ما تكون على أتمها تأنثاً » غلادستون

« المرأة آخر من بقي عند الصليب ، وأول من أسرع الى القبر » باريت

« المرأة الجميلة جوهرة . والمرأة العاقلة كنز » سندي

« تجد المرأة في بدء كل شيء » دمرتين

« أعذبُ ما في الحياةِ تحية الزوجة المحبة » ولز

« أيُّ شعرٍ يفوق عَيني المرأة في السحر » شكسبير

« ان السماء لا تعرف شيئاً أرقَّ من قلب المرأة الذي تسكنهُ الشفقة » لوثير

الأدب في العراق

﴿ السيد محمد سعيد حبوبي العراقي ﴾

ولد في النجف ، وبها نشأ وحصل . وقضى شطراً من شبيبته في بلاد نجد حيث تشتغل أسرته بالتجارة . ثم هو اليوم في النجف يعد في صدور العلماء المجتهدين ، وعمره ستون سنة ونيف

تأثير الاقليم — للإقليم ولنوع المعيشة أثر كبير في تكوين أخلاق الانسان وملكاتهِ النفسية . واذا التفتنا الى من نترجم اليوم رأينا الشاهد على ذلك . الوسط الذي وُجد فيهِ الرجل ، أول ما وُجد ، كان مباءة علم وأدبٍ وشعور ، والسماء التي رمقها ، أول ما رمق ، وضَّاءة جميلة . الحرارة شديدة الوقع ، ولون النور ناصع بياضه . فأهلّهُ ذلك ، فوق ما في فطرتهِ من الاستعداد ، لأن يكون ملك الشعر والشعور ، وربَّ الفصاحة والبلاغة ، الساحر بيانه ، الفاتن عيانهُ

ولم يكن ذلك كلّ ما جعل الرجل كذلك ؛ بل انه وُجد في مهد البساطة ، وتمكنت من نفسه آداب الفطرة الصحيحة ، فصفا ذهنهُ ، واتّقد خاطرهُ ، وقد انتشق نسيم بلاد العرب الجافّ المعتدلة حرارته ، وشاهد الأودية والجبال والشعاب النضرة ، فانعكست في لوح باطنهِ صوَر تلك المشاهدات الغريبة ، وطالع رياض الجزيرة وأرباضها ، فأجال طرفه هناك في بساتين الطبيعة العامرة ؛ هناك في موطن الحب والعواطف ، موطن الدموع ، وفي مهبط الشعر والعشق والحياة الخفيفة

الهنية ، وفي محطّ رحال الكَلَف والهيام ، والضلال والحيرة

في النجف وُلد ، وفي نجدٍ والحجاز وُجد ؛ فجاء آيةً في الشعراء الحقيقيين الذين لم يوجدوا الاّ ليكونوا أمثلة للروح الإلهية المقدسة ، وأشباحاً للنفس الملكوتية الطاهرة . اولئك هم أنوار العالم ، وهم متمّمو نقصان الوجود

كلمة في شعره — فسدت معاني الشعر العربيّ ، قبل فساد ألفاظه ، بزمنٍ طويلٍ عهدهُ ، فخرج بالشعر كثير من ذوي القرائح عن غايتهِ ، وانقلبوا خرّاصين قوّالين ما لا يفعلون ، غالينَ في المدح ، وتأليهِ العظماء ، واكبارِ الجبّارين . وقد اكتسبهم بالمال عشّاق الشهرة والمجد الباطلَين ، فأفسدوا فطرتهم . على انه لم تخلُ تلك الفترات من نبيٍّ للشعراء يرسل كأبي العلاء ابن المعرّة . وقد كانت ألفاظ ذلك الشعر عامرةً على فساد معانيه . ثم جاء دور الألفاظ فأفسدها ابن نباتة والقيراطي وابن حُجة والصفدي والحلّي صفي الدين ، بصناعتهم اللفظية ؛ فعاد الشعر العربي ، من جهة المعاني ، مدحاً ورثاءً كلهما كذب واغراق ، ومن جهة الألفاظ ، كلماتٍ مهملة أو معجمة ، يتأمل كيف يضع الشاعر بعضها الى بعض ، أو كيف يقابل بعضها ببعض ، ناسياً ان ليس الشعر الاّ لحناً جميلاً تؤلفهُ الأرواح الشاعرة ، أو أنهُ ليس الاّ روحاً تبعثها ألحان الضمائر ، وهي منقطعة الى مناجاة الله والطبيعة

ويمتاز شعرُ مَن نحن بصددهِ ، برجوعهِ الى حقيقة الشعر في الاكثر إن من جهة الألفاظ ، وإن من جهة المعاني . أما الألفاظ فانها السهلة

الجزلة ، تجمع الى الرقة المتانة ، ونظمها يحوز الى فخامة التأليف ، وجلال التركيب ، جمال الأساليب . وأما معانيه فانها في الأغلب وصفٌ وتصويرٌ، وتجسيمٌ للخواطر ، ونعت الطبيعة ، ولهجة شديدة في العشق ، وفي الحب والأحباب . واذا تصفحتَ مجموع شعره رأيتَ سفرَ دموع وعواطف ، ووجدت ثمة ديانة الشعراء ، وأهازيج الأرواح ، وتهليلاً وتسبيحاً يتصاعد من عالم النفس ، الى عالم الحس ؛ ويشهد على سلوكه ومذهبه في المحبة الخالصة مثلُ قوله :

والحبّ من دون البريةِ كلّها دينى الذي وشجت عليهِ عروقي

وقوله :

اني اتخذتُ هواهمُ حَسَباً أُعزى اليهِ ، وحبّهم شرعا

وقوله في موشح :

ليت دين الحبّ لما عرَفا لم تقُم بيعتهُ في عُنُقي

وقوله :

لستُ أنسى عهدكَ الماضي وانْ مرّ بالعين خيالاً لستُ أنسى
طفتُ سبعاً حولَ مغناكَ كما قمتُ أقضي الصلواتِ الخمس خمسا

فها أنت ترى نوعاً من عبادة السالكين الذين تجردوا عن الاتصال بالمادّة ، وأصبحوا أرواحاً محصنة حائمة حول سراج الحقيقة ، حيامَ الفراش على النار . ولماذا تودّ اللحاق بالحقيقة ؟ ؟ لأنها للحقيقة خلقت ، ومن الحقيقة بدأت ، والى الحقيقة تعود

ولست أدري ماذا كان يلمُّ بهذا الشاعر حين ينقطع الى التأمل في

جمال الطبيعة ؛ أكانت الطبيعـة تنقطع الى شهوده ، فتجده مظهراً من مظاهرها الجميلة ، وتكاشفهُ ، فتفيض أسرارها الغامضة على لسانه ؟ بلى ! وانهُ لسانٌ ناطق للطبيعة ، فقد كان مرأى الأزهار يؤثر فيهِ ، وخطرانُ الغصون الميس يعبث بلبه ، فيحملهُ على أن يقول :

يا بانة الجزعِ ، لا والنازلين بهِ ،　　ما كنتِ عارفةً لولاهمُ الهيفا

ويقول :

مالتْ فقلتُ لها يا بانةُ آعتدلي　　وان جُبلتِ على التعطافِ والميَلِ

ويقول :

وذكرت في ذي البان ميسَ قدودِهم　　فطفقتُ من شغفٍ أضمّ غصونهُ

ويظهر من لهجتهِ في شعره ، انهُ كان شديد التمسك بمبداٍ (الحب) تمسكاً يمثّل له أن الهلاك والحيرة منجاة وهدًى فيـهِ ، وان طغيانه عليهِ عدل وانصاف تلزم معهما الطاعة . فتراه يقول :

منَح الصبابةَ أضلُعـاً وفؤادا　　وعصتهُ سلوة مُقصرٍ فتمادى

وطغى عليهِ الحبُّ وهو أميرُه　　فأطاعَ جامح قلبـه وآنقادا

وربما أصيب ، كدأب الحائرين من هذه الطائفة المعذبة ، بمن لا عاطفة ، بل لا قلب له ، فيطعن في سلوكهِ ، فيضطر ان يواجـه هؤلاء بمثل قوله :

يا عاذِليَّ في الهوى تورَّعوا　　واطَّرِحوا نفسي ومَن تيَّمهـا

قالوا الغرام مهلكٌ قلتُ لهم　　ما عيشتي ان لم اكن مغرمَهَا

وقوله :

يا لائميَّ اليومَ في حُبهِ　　مهلاً فمـا شانكما شاني

هاموا هيامي فيكَ لو أنهم قد عرفوا مَعناكَ عِرفاني

شعره — وقد آن لنا ان نُثبت شيئاً من شعره ؛ فهو الذي يقول :

لُح كوكباً ، وامش غصناً ، والتفتْ ريما فإنْ عداكَ آسمُها لم تَعدكَ السيما
وجهاً أغرَّ وجيداً زانهُ جيَدٌ وقامةً تُخجلُ الخطّيَ تقويما
يا مَن تجلُّ عن التمثيلِ صورتهُ لأنتَ مثَّلتَ روحَ الحسنِ تجسيما
لو أبصرتك النصارى في كنائسها مُصوراً رَبَّعتْ فيكَ الأقانيما
نطقتُ بالشعر سحراً فيكَ حين غدا هاروتُ طرفكَ ينشي السحرَ تعليما
اذا سفرتَ تولّى المتقي صنماً وان نظرتَ توقّى الضيغمُ الريما
من لي بألمى ، نعيمي بالعذاب بهِ ، والحبُّ أن تجد التعذيبَ تنعيما
ألقى الوشاحَ على خصرٍ توهَّمهُ وكيف وشّحَ بالمرئيّ موهوما
أشيمُ برقَ ثناياه فيوهمني تألّق البرقِ نجديًّا اذا شيما
يا نازلي الرمل من نجدٍ أُحبكمُ وإن هجرتم ففيما هجركم فيما
هل توردونَ ظماءً عذبَ مائكمُ أم تُصدرون الأماني حُوَّماً هيما
لي بَينكم ، لا أطالَ اللهُ بينكمُ ، غضيضُ طرفٍ يردُّ الطرف مسجوما
أنا رضيعُ هواهُ منذ نشأتهِ ونشأتي لن تروني عنهُ مفطوما
يا جائراً وعلى عمدٍ أحكّمهُ أعدلْ وجُرْ بالذي ولاّكَ تحكيما
حرَّمتَ وصلي كما حلَّلتَ مقتلتي صدَّقتُ شرعكَ تحليلاً وتحريما

ولهُ :

دموعي وهيَ حمرٌ مُرسَلاتُ وشت بي عند أهلِكَ لا الوشاة
أتنكرُ يا أخا القمرينِ لثمي وفي شفتيكَ من شفتي سِماتُ
فلو نزعتْ لحاظُك عن قسيٍّ لما اختارتْ سواهنَّ الرماة

فسلْ كبدي ففي كبدي سهامٌ بأهدابِ الجفونِ مُريّشاتُ
وسلْ عطفيكَ كم طعنا فؤادي اذا علمتْ بموقعها القناةُ
أتحكي السمرُ قدّك باعتدالٍ وما ثُقّفتَ وهيَ مثقّفاتُ

وله :

يا غزالَ الحِمى ، وقلتُ غزالاً ، حين أبصرتُ في ضلوعي كناسا
حسبوا غنجَ مقلتيكَ نعاساً ومن الغنجِ ما يكونُ نُعاسا
مَن كسا خدّك الشقيقَ كساني من بَهارِ الضّنا عليكَ لباسا
فاسقني، لاعطشتَ ، ثغراً وريقاً يومَ تسقي النديمَ خمراً وكاسا
وارعَ لي ذمةً لديكَ وعهداً يومَ تنسى العهودَ أو تتناسى
هبْ جميع الورى أحبّتك حبي غير أني قاسيتُ ما لا يقاسى

وله :

خطرتْ فجدُّ وشاحُها بخفوقٍ فكأنها اتّشحتْ بقلب مشوقِ
وعلى الدلالِ تماسكتْ فتلاعبتْ كفُّ الصِّبى بقوامِها الممشوقِ
شربتْ بوجنتِها دمي واستخدمتْ لخضاب أنملِها دَمَ الراووقِ
قمنَ الولائدُ اذ تهبُّ من الكرى من حولِ واضحةٍ كنارِ فريقِ
قرَّبنَ قضبانَ الأراكِ فجلّلتْ بَرَداً تُقيّدُه لثاتُ عقيقِ
وضفرنَ جثلاً من أثيثٍ عاكلٍ نُضّدنَ فوق المتن نضدَ عذوقِ
الحسنُ حوزتُها ولكن غيرُها بالمستعارِ أتى أوِ المسروقِ
والحبّ من دون البريةِ كلّها ديني الذي وشجت عليهِ عروقي
يا أسمَ جادكم السحابُ اذا سرى متجللاً برواعدٍ وبروقِ
جون اذا احتلب المهبّ ضروعهُ هدرتْ رواعدُهُ هدير فنيقِ
اني وثقتُ بحبكم فتكاثرت عللٌ تُقلّلهُ فقلَّ وثوقي

وله :

شمس الحميَّا تجلّت في يَدِ الساقي فشعَّ ضوءُ سناها بين آفاقِ
سترتُها بفمي كي لا تنمَّ بنا فأجَّجت شعلةً ما بين آماقي
خُذها كواكبَ اكوابٍ ويشفعُها ما يحتسي الطرفُ من أقداحِ أحداقِ
وبتُّ أسقى وباتت وهيَ ساقيتي نحسو الكؤوسَ ونسقي الأرض بالباقي
ضممتُها فتثنت وهي قائلةٌ بالغنج مهلاً لقد كسَّرتَ أطواقي
مسودَّةُ الشعر لولا ضوءُ غُرّتِها لما هدتني اليها غيرُ أشواقي
يهدى اليكَ بمرآها ومسمعِها جمال يوسف في الحانِ اسحاق

وقال :

للهِ يومَ وداعِهم من عُصبةٍ وقفتْ وقد سَرتِ الجمالُ وخادا
وَقفتْ بهم أقدامُهم ان يركضوا أثرَ النياقِ فأركضوا الأكبادَا
فوق الركائبِ أنجمٌ لا تجتلي ورياضُ حسنٍ تمنعُ الرُّوادا
عَربٌ، معاطفُ غيدِهم ورماحهم سيَّانِ، كلٌّ ينثني ميَّادا
بعثوا الخيالَ، وما رقدتُ، وليتهم بعثوا اليَّ مع الخيالِ رُقادا
أُحيي الدُّجى أرَقاً كأنَّ نواظري خُلقتْ محاجرها قذًى وسُهادا
بذمام ذيَّاكَ الغزالِ حشاشةٌ أُسرتْ ولم يَقبل فدًى فتُفادى
يا غارساً بالجزع روضةَ حسنهِ ومخيفَ رائدِها قناً وصعادا
كنّيتُ عنكَ بمن سواكَ مُوريًّا بهوى سعادَ وما هويتُ سُعادا
أعرضتَ عني وادَّعيتَ مودّتي أرأيتَ إعراضاً يكونُ ودادا
اني لأسترُ عِفتي بخلاعةٍ وأرومُ فيما أنتحيهِ مُرادا
والضدُّ قد يبدو بمظهرِ ضدّهِ أوَ ما ترى نورَ العيونِ سوادا
يا ربعَ لذَّاتي ومربعَ جيرتي حيَّا معاهدَكَ الغمامُ وجادا

لا أبتغي للوصلِ فيكَ نهايةً　　أبداً ولا للعيشِ فيك نفَادا

لا والذي سَمكَ السموات العُلى　　وأقامهنّ وما أقام عمادا

لا أرتضي غيرَ الأكارم معشرًا　　يوماً ولا غيرَ العراقِ بلادا

وقال :

ومودّعٍ للركب ودَّ بأنهُ　　لو قد أسالَ عن الفؤادِ شؤونَهُ

تقطعِ الاظعان ميلاً في السُرى　　الاّ وكحّل بالسُهادِ جفونَهُ

قطعتْ بهم سهلَ الغميم وَحزَنهُ　　فسقى الغميمُ سهولَهُ وحزونَهُ

فترى الدموعَ تخالُها بحراً طمى　　وترى الحمولَ تخالهنّ سفينةُ

يا قلبُ حسبكَ بالغرامِ رهينةً　　شطَّ الغريمُ وما قضاكَ ديونهُ

فلأنهكنَّ القلبَ من حسراتهِ　　يوم الترحّل او يُجنّ جنونهُ

قالوا أشابَ البينُ مفرقَ رأسهِ　　كلاّ ولكن قد أشابَ عيونهُ

وذكرتُ في ذي البان ميسَ قدودِهم　　فطفقتُ من شغفٍ أضمُّ غصونهُ

وقال :

يا ساكني الزوراء حسبُكمُ النَّوى　　فلقد وهى جلدي بكم وتجلّدي

أمرَضتموني بالبعادِ وانما　　أقصى شقائي ان أراكم عُوَّدي

كثرتْ عليَّ النائحاتُ صوارخاً　　ان لم اكثّرْ في هَواكم حُسَّدي

موّهتُ عنكِ بلَعلع وبحاجر　　ولأنتِ من تلك العبارة مقصدي

فليحلُ بالزوَراء عيشُكِ سائغاً　　إني أغصُّ بكلّ عيشٍ أرغدِ

وليهنِ أعينَكِ الرُقادُ فانَّ لي　　عيناً اذا رَقد الملا لم ترقدِ

إن أسلمتكِ يدُ الغرام فإنني　　مُلقىً بقبضتهِ أروحُ وأغتدي

وله من قصيدة :

أجدّك علّمني لوصلِك حيلةً　　فأنتَ الذي علّمتني الهيَمانا

وهبْ انَّ سمعي قانعٌ بحديثكم ألِلعينِ مَعنىً أو تراكَ عيانا
الى النزوانِ العيسُ تلوي أعنَّةً وهيهاتِ ليست تملكُ النَّزوانا
وليست تشيم البرقَ من أبرقِ الحمى بلى ! قد تشمُّ الشيحَ والعَلَجانا
فيا أخويَّ المدلجينِ كليهما اذا جزتما الجرعاء فانتظرانا
ويا صاحبي لا تلوِ عنها مُعرِّجاً هلمَّ لنَلقى من نحبُّ كِلانا
وقم نجتلي النارَ التي قال خابطٌ من الناس حسبي ان رأيتُ دخانا
وان لمعتْ فاقصد لمشرقِ ضوئها وأمَّ شروقَ الضوء لا اللمعانا

وله :

وان أقضي بحبكِ مستهاماً فكم قبلي قضى صبٌّ معنَّى
قضى القيسانِ قبلي : قَيسُ ليلى من الهجرِ الطويلِ وقيسُ لبنى

هذا وقد أثبتُّ كل ما مرَّ اشارة بذكر اديب دقَّ خطرُه ، وتطلّس أثرُه ، لنبوغه بين قومٍ لا يحتفون بنابغة ، ولا يحتفلون بنبيل ، فحمله استخفافهم بالشعر وذويه على الاشاحة عنهُ بوجهه ، ودعاهُ اهتضامهم للادب وأهله ، الى الاضراب عن معاناته ، فانصرف منذ عهدٍ بعيد عن قرض الشعر ، ولولا ذلك لعُدَّ اليوم في صفّ المتفوّقين من غواة هذا الفنّ الجميل ، وقليلٌ ما هم

(النجف) محمد رضا الشبيبي

(الزهور) رأى القراء في شعر الشيخ الحبوبي وفي ما نشرته هذه المجلة سابقاً عن ادباء العراق ان في تلك الاصقاع شعراء مجيدين يذكروننا بأسلافهم فحول شعراء العرب . فنشكر لكاتب هذه المقالة انه عرّف الى ادبائنا اليوم واحداً من هؤلاء الشعراء النابغين

الزهور



المرءُ روحٌ خفيٌّ لست تنظره　　الاَّ بمرآتهِ من هذه الصورِ

ان كان ظاهره عنوان باطنه　　فهاكُم عن فؤادي أصدقَ الخبرِ

عبد الحميد الزهراوي

للسيد عبد الحميد افندي الزهراوي شهرة في الادب لا تقلّ عن شهرته في السياسة . ولئن كانت سوريا قد عرفته سياسياً ماهراً ، ومبعوثاً غيوراً على مصلحتها ، فان مصر عرفته من قبل كاتباً مجيداً ، وصحافياً قديراً . على ان شواغل السياسة لم تصرفه عن الكتابة فقد طالما أنشأ المقالات الضافية ، وكتب الفصول الشائقة في جريدته «الحضارة» الغراء . ولقد اغتنمنا فرصة وجوده في هذه الاثناء في مصر ، فسألناه ان يزين بعض صفحات « الزهور » بفصل يكتبه خصيصاً لها ، فتفضل بالمقال التالي ، قال :

رغبتم ، أيّد الله بكم دولة العلم والأدب ، ان أضع بين زهور كم ورقة يتمثل عليها شيء من تفكراتي ، ولو اطلعتم على قلبي ، وعرفتم كم أقدر الزهور حق قدرها ، وكيف أتهيّب ان أضع بينها مثل هذه الورقات ، لما سمحت مكارمكم الأدبية ان تضعوني بين مشكلَين من تلبية هذه الرغبة الشريفة ، والاحجام عنها . أما وقد قضى حظّي ان تخفى عليكم حالي ، مع وضوحها وقوة فراستكم ، فان الاقدام رجح عندي على الاحجام ، وشجعني على ذلك انّ فوضى الأقلام قد تستطيع تعاريجها ان تخفي مثل هذه الورقات فلا تنفذ اليها اعين الحذاق

ولا أكتم عنكم ان ما شغل الأفكار هذه الايام من هبوب عواصف السياسة من الغرب على الشرق ، ومن الشرق بعضه على بعض ، قد حال بيننا وبين مجالات الكتابة ؛ لأن المجال ان كان في السياسة ، فهي قاضية ان ليس كل ما يعلم فيها يقال ، وان كان في الادب ، فمعلوم انه لا محل للموسيقى حين تكون المدافع قائمة بدورها على ابواب البلاد ، وان كان في الفلسفة ، فلها رجال لا أرى اني من طبقتهم ، ولا تسمح نفسي ان تحشر في زمرة الطبقة التي لا تستحق في نظر الناس الاّ ان توسم بالتقليد ؛ فلأجل هذا كله وقفت طويلاً امام تكليف صديقي صاحب الزهور وقفة الحائر ، ثم انطلق لساني يقول : « كيف الخلاص من الزهور »

ولما قلت هذه الكلمة وجدت ضالتي ؛ فان ذهني انتقل الى موضوع يصح ان نسميهُ جليلاً . ذلك ان لاحت لي العلاقة العظمى التي بين البشر والازهار ، ورأيت ان هذا النوع بأجمعه غير مستغنٍ عن الأزهار. فلما

رأيت الناس تربطهم بها هذه الرابطة العظمى ، بحيث لاينفكّون كلهم عن طلابها ، والخضوع لتجلياتها — لما رأيت هذا المرأى الغريب الذي يقلّ التنبه له ، هان عليّ عدم امكان التخلص والتملص من أمر « الزهور » وسهل عليّ الدخول في موضوع قد يصح ان يأوي الى هذه الرياض لأنه متعلق بالزهور

العلاقة التي بيننا وبين الأزهار :

قلت ان العلاقة بيننا وبينها عظيمة والآن ازيد فأقول : هي عظيمة جداً . وهذا اراه يحتمل شرحاً كثيرا ، وأبدي أسفي على اني لم اجد من الوقت ، ومن تفرّغ الفكر ما استخدمه في هذا الشرح على مقدار ما يحتمل الموضوع ، فانا اكتفي باشارات قليلة فاني لا أخال ان للزهور قرّاء من غير الاذكياء ، واولئك تكفيهم الاشارة

ان العلاقة بيننا وبين الازهار هي علاقة التربية ؛ اي اننا نحن نربّيها وهي تربينا ، وهي مساعدة في حفظ نوعنا ، ونحن مساعدون في حفظ أنواعها . ولما كان من حكمة ذي العناية ان يكون طلبنا لما نحتاج اليه من الاشياء الضرورية بسوائق طبيعيةٌ ، وضع فينا سوائق جمة متنوعة بتنوع ما نحتاج اليه ؛ واعظم هذه السوائق « حبّ الجمال » . ووضع سبحانه فيما نحتاج اليه ، ويحتاج الينا ، جواذب جمة متنوعة اعظمها « الجمال »

ففي الازهار قوى تجذبنا ، وفينا قوى تسوقنا الى محبتها . ولست ادري أشاعرة تلك الحبائب بهؤلاء المحبين ، وأتريّنا الجواذب فينا تجذبها ،

وسوائق فينا تسوقها الى ذلك ؟ نعم لا أدرى هذ! فأتركه لسبح خيال بعض الفلاسفة . . .

كيف تربّينا الأزهار

اما تربية الأزهار إيانا فعلى اساليب شتى ، بعضها شديد الظهور . فمن ذلك : تربيتها أبداننا ؛ ذلك ان قسماً عظيماً من أغذيتنا يتمثل في أهم أدواره زهراً ، ثم ينقلب حبّاً ، او فاكهـةً ، او لبّاً . ولا ينبغي ان ننسى ان الاعشاب هي الأساس في تربية أبدان جمهور الحيوانات ؛ لأن أو اكل اللحوم منها ، انما تتغذى بلحوم او أكل الأعشاب في الغالب ، ولأنها (أعني أواكل اللحوم) اذا وجدت في اللحوم غذاءها ، لا تجد فيها شفاءها اذا أصابها مرض ، بل تلتمسه في الاعشاب كما ينقله المشاهدون . واذا كانت الاعشاب هي الأساس في التغذية ، ومن الحبوب والفواكه والألباب قسم كبير من الاغذية والادوية ، كان واضحاً معنى تربية الازهار أبداننا

أما تربيتها لأفكارنا وعواطفنا فهذا الذي يحتاج الى الشرح ؛ ولعله يكفي ان نقول : ان أعظم أسباب رقيّ الانسان انما هو « حب الجمال » وان أعظم حامل للواء الجمال هي هذه الازهار التي لا يستطيع أبلغ البلغاء ان يدخل في تفاصيل بهائها وازدهارها وتشكلها بالألوف من الالوان التي يفرق بعضها عن بعض امتيازات في غاية الدقة . فكلما ألف الانسان المزيد من التمتع بجمالها وعُني بتربيتها وترتيبها ازداد ذوقه سلامة ، وطبعه لطفاً ، وروحه نشاطاً

وهناك اسلوب آخر من تربيتها ايانا يذوقه الصوفيون ، والفلاسفة الروحيون ؛ فلا نتعرض له ههنا

كيف نربّي الازهار

هذا المطلب من الموضوع نترك بعض جهاته لعلماء الزراعة ، ونأخذ نحن بجهة واحدة منه ؛ وهي أن التقليد الذي يدخل في كل شيء قد دخل ايضاً في تربية الأزهار التي اعتاد الناس ان يزينوا بها حدائق البيوت . ذلك اننا رأينا اكثر الحدائق انما تحتوي على أصناف من الازهار معهودة عند الكل في الغالب ، في حين ان الازهار التي تحتوي عليها أرض الله الواسعة تكاد لا تحصى . وهذا التقليد قد يذكّرنا بجمود اكثر الافكار على ما عرف الاولون ، من غير تأمل ، في ذلك الذي عرفوه خطأً او صواباً ؛ واذا انتقل الفكر من الجمود في تربية الازهار، الى الجمود في تربية العقول والنفوس ، يرجف القلم ويستعفي من الخوض فيه ؛ فليعذره القارئ اذا أراد ان لا يترك لذة الوقوف مع الزهور ، وقفة الذاكر جميلها وجمالها ، المتعلم من حكمة ارشادات أوضاعها وحالها ؛ وقد تذكرت الآن هذه الحكمة التي تتجلى لي كلما رأيتها تزين الرياض والحدائق ، وهي ان تسبيح بديع الاكوان كلها يكون بالروح والجنان ، كما يكون باللسان ، « وإنْ مِنْ شيء إلاّ يُسَبّحُ بحَمْدِهِ ولكنْ لا تفقَهُونَ تَسْبِيحَهُم »

عبد الحميد الزهراوي

أي الرجال تفضله النساء

« من كان طويل القامة ، قوي البنية ، جميل الطلعة ، ذا ذكاء لا يباهي به ، لين العريكة ، متسامحاً بالجزئيات ، غيوراً في الحب ، رؤوفاً بالضعيف ، يركن اليه في كل الاحوال ويمكن خداعه احياناً . واني وان كنت أرى صعوبة التعميم في أمور كهذه ، فلا ريب عندي ان اكثر النساء يرغبنَ في الرجل المتصف بمثل هذه الاخلاق ، وأخالف من قال بأن النساء يملنَ الى الرجل الذي يستأثر بالسلطة ، وان يكن بعضهنّ يفضلن الاستبداد على الاهمال ، لأن المستبد شرس الطباع ، مكروه في الغالب »

وردت هذه الجملة في آخر رواية كتبتها آدا ليڤرسون ، فلفتت نظر مدير مجلة «الستراند » ، فاتخذها موضوعاً اقترحه على اديبات الانكليز فوردته الاجوبة التاليـة :

لا يصح التعميم في قضية كهذه ؛ فان لكلٍ من الناس في الحبّ مذهباً ولولا ذلك لساد في الأرض الشقاء . وأنا أوافق السيدة ليڤرسون على كره الرجل المستبدّ ، وحب الرؤوف . أما رأيي الخاص فاني أقدّم الحيطة والرعاية على باقي الصفات ، اذ لا شيء عندي أبغض من الاهمال وعدم الاكتراث . ولستُ أُعلّق على المنظر الشخصي كبير أهميةٍ ؛ فاني أعشق في الرجل أخلاقهُ لا أسنانهُ البيض وشاربهُ المفتول

مود أنسلي

ان وصف آدا ليڤرسون يصدق بالاجمال على النوع الذي تفضّله النساء . غير انَّ بعضهنَّ يفضّلنَ ذا النفس الكريمة ، ولو كان قبيح الصورة ، والقويَّ على الضعيف . أما المستبدُّ الشكسِ الطباع فلا يُطاق . وقد أصاب «هزلت» في قولهِ : ان المرأة تعشق الرسم الذي اعتادت تصويرهُ في مخيلتها

ادلايد أرنولد

ليس أبغضُ لديَّ من الشاب الجميل . غير اني اشترط في من أحب ان يكون منظرهُ مقبولاً ، ذا عينين لطيفتين ، وذقن تدلُّ على القوَّة ، وان لا يكون

في وجهه ما يدلُّ على الدناءة ؛ يحب الاولاد والكلاب قادراً على استمالتهم اليه . وأفضّل من زادَ على هذا الذكاء ، وسعة الاطّلاع ، وكرم النفس ، والقوة الحقيقية . فانَّ القويَّ لا يظلم ولا يستبد . واكرهُ الجبان الغيور . ومن الحكمة ان لا تفحص المرأة عن ماضي رجلها ، وان تثق بهِ كل الثقة

مسز اسكيو

إنّ الاستبدادَ في الرجل كثيراً ما يكون عنوان الضعف ؛ فالمرأة الحكيمة تعرف كيف تحصل على السلطة الحقيقية ، باظهارها الطاعة واللين ، ويمكنها الفوز باكثر رغائبها اذا تظاهرت بعكس ما تروم . أما الرجل الرؤوف الذكيّ ، الثقة ، فهو عطية الآلهة . واني استغرب ممن تفوز ببعلٍ كهذا كيف يخطر لها خداعه في بال

كاترين بايتس

يستحيل على امرأة واحدة ان تجيب على هذا السوأل المهم ؛ فان لكلّ امرأة ميلها . وبصفة كوني عضواً من الجنس اللطيف أجيب : انني أفضّل الرجل الذي ينزع للسلطة ، واكرهُ الرجل الضعيف النفس ، كما تكرهُ الكثيرات منا ضعيف البنية ، واحتقر الرجل البسيط الذي يُخدع . أما الخصال التي لها الميزة عندي فهي الشجاعة والذكاء والمواساة وخفّة الروح . وان أضفت اليها دماثة الخلق والكرم بلغت حدّ الكمال

مارجري بون

ان قلنا إننا نفضّل الرجل الطويل الجميل الذكيَّ القوي ، فلا نضلّ ؛ اذ نكون قد اخترنا أفضل النوع المذكر . ومن منا لا تميل الى الرجل المتسامح في صغائر الأمور ؟ غير اني أرى اللواتي يفضّلنَ محبَّ الاثرة ، على ضلال مبين ؛ فهنَّ يستحسنَّ منهُ مظاهر القوة في زمن الخطبة ، ثم لا يلبثنَ ان يسمينها استبداداً مشيناً بعد الزواج . ومما لا يُعارض فيهِ أنَّ المرأة تحبُّ الغيرة في الرجل ، لأنها لا تريد ان تُشرك فيهِ ولا ان يُشرك فيها . واما من يمكن خداعهُ أحياناً فهذا شرط يستغنى عنهُ لأنَّ الرجل الذي لا تقدر المرأة على خداعهِ لم يولد حتى الآن

صوفيا كول

ان الزمان الذي كانت تميل المرأة فيهِ الى ذوي السيادة والاثرة من الرجال قد مضى مع الجيل الغابر ، فاننا بنات القرن العشرين نودُّ ان نرى في الرجل العصريّ المجاملة والمروءة التي ينبغي ان تكون بين القوي والضعيف ؛ أما اذا وجدت المرأة رجلاً تقدر ان تثق بهِ ثقةً دائمة ، فينبغي ان تخجل من ان تُقدِم على خداعهِ

مسز كرسبيني

ان رأي مسز ليفرسون هو رأيٌ ناضج ناشئٌ عن خبرةٍ وتدبرٍ . وهذا لا يتم الاَّ لمن قضت في الزواج او العزوبة عقداً طويلاً . اما الفتيات اللواتي يهمهنَّ في الدرجة الأولى ، ما نحن في صددهِ ، فانهنَّ يملنَ مع القلب وليس مع العقل . واني أرى الصفة الفضلى في ما يسمونهُ بالسمر والغزَل ؛ فان كل بنات جنسنا مهما كنَّ متعقلات يُرضيهنَّ من أزواجهنَّ أمور في الحقيقة صغيرة كمثل نظرةٍ او قبلة عند الوداع ، او حديث رقيق ، او لمسة تحبب ، او باقة زهر . والرجل الذي يحسن هذه المجاملات البسيطة تغتفر لهُ المرأة ذنوباً كثيرة . ويسرُّها ان ترى الغيرة فيهِ ما دامت ترى فيهِ آثار الحبّ الصادق اذ لا تقدر المرأة ان تعيش بلا حبيب

ماي ارجنتون

ليس لي رأي خاص في هذه المسئلة سوى اني اعتقد ان جنسنا ينقسم الى قسمين كبيرين : قسم يميل الى التحكُّم ، وقسم يرغب في ان يكون محكوماً . ولكل منهما فئةٌ تقابلهُ من الجنس الآخر . واعتقد ايضاً بالمبدإ القائل « شبيهُ الشكل منجذبٌ اليهِ » وان شذَّ بعض الأحيان

ألينور غلن

لو عُرِض الازواج في السوق كالبرانيط الجديدة ما تردّدت النساء في اختيار أجملهم صورةً ، وأطولهم قامةً ، وأقواهم بنيةً . ولكنها ترى في من تحب الكمال ولو كان على عكس ذلك . ومما يدهش أن بعضاً من الرجال الذين تفتتن بهم كثيرات من النساء ، ليسوا على شيءٍ من المواهب الطبيعية . وأنا أحتقر المرأة التي ترضى باستبداد زوجها ، ولا أحب الغيور فهو لا يطاق كرفيق العمر ؛ ومن كان هذا طبعهُ فلا يسهل عليهِ تغييرهُ . واليك ما أفضّلهُ في الرجل : ان يكون محباً

سليم الذوق ، كريم الطباع ، سريع الفهم ، خفيف الروح ، محباً للمجون . فان المجون يخفف أثقال الحياة　مسز بنروز

تختلف النساء في الذوق اختلاف الرجال فيهِ ؛ ومما يقضي بالعجب ان صنفاً من النساء والرجال لا نرى فيهِ من الميّزات ما يكفي بأن يجعله الفائز بالشهرة في الحب . انما السر ان هذا النوع لا يشعر بالحب الحقيقي ؛ وهو ذو العواطف الهادئة ، من اذا رأى امرأةً تعرض عنهُ يقدر ان يظهر لها وكأنهُ يقول « اني أستغني عنكِ أنتِ بكل سهولة » لأن من يهزّهُ الحبُّ الصادق لا يمكنهُ ان يعلق بأكثر من شخصٍ واحدٍ . واذا تصفحتَ التاريخ تجد انَّ الرجال الذين اشتهروا بشدةِ سلطتهم على قلوب النساء ، والنساء اللواتي كنَّ يلعبنَ بقلوب الرجال ، كانوا بلا استثناء ، فاتري العاطفة ، شديدي الأنانية　مسز بايلي

أميل الى من كان يرمي الى غرضٍ معلوم في الحياة ، وهو قويٌّ ثابت ؛ من يتكلُ على نفسهِ ، ويقتصر في مظاهراتهِ الحبية على ما يكفي انهُ يُفهِمَ زوجته انهُ يُحبها . وأريدهُ طويل الاناة دِمثَ الاخلاق　ريتا

ان مُعظم النساء يعبد القوة ، ويكرهُ في الرجل التأنُّث . ولذا فلا يهمّ الجمال هذا الفريق ؛ لأن الرجل الجميل يغلُبُ ان يكون معجباً بجمالهِ ، وهو محتقر ومرذول من النساء . ويلذُّ للمرأة ان ترى الغيرة في من تحب ، ولا تكره سلطة الرجل ، وان كانت لا تعترف بذلك جهراً حتى ولا لنفسها　مسز ستانلي

كصديق أفضلُ الرجل المجوني الحلو الطباع ، المتوسطَ الذكاء ، من يقدر ان يجعل المرأة تعتقد بأنها أجمل وجهاً ، وأبهج عشرةً ، وأفخر زينةً من كل امرأةٍ سواها ، فتصدّقهُ وترضى عنهُ ولو قال نفسَ الكلام لكثيراتٍ غيرها . ولكن كحبيب وزوج أشتهي المفكّر في غيرهِ الرؤوف الرقيق . مَن يحب الاولاد والحيوانات البكم ومَن يحسُن الاتكال عليهِ دائماً　مود باردلي

ع · ع

الرسميات

لم يكدْ انتخاب المسيو بوانكارِه يَذيع حتى أعلن رغبتهُ في خلع نير الرسميَّات وميله الى حرية المعيشة . فهو يريد أن يؤمَّ هذا المكان ، أو يختلف الى ذلك الموضع بغير عين ولا رقيب . وهو يبتغي ان يثابر على مشاطرة المجمع العلمي الفرنساوي أعمالهُ . وان يتناولَ الطعام عند أصدقائِهِ ايانَ شاء دون ان يحاذر لومة لائم على مخالفتهِ لقواعد العادات المرعية في الرسميَّات

إن الرغبـة التي أبداها المسيو بوانكاره على أثر انتخابهِ لرئاسة الجمهورية الفرنساوية تدلُّ على عواطف ديموقراطية حقيقية كامنة في صدر ذلك الرجل العظيم الذي أجمعت الكلمة على استحسان انتخابهِ لذلك المنصب الرفيع . وهي لعمر الحق عواطف لا يسع كلَّ ذي عقل سامٍ الاَّ اطراؤها

أجل ان الرسميات المقضي على رئيس الجمهورية الفرنساوية التقيّد بها في هذه الايام ، لم تعد معدودةً شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الرسميات الكثيرة التعقيد التي كان العمل جارياً بموجبها في العصور الماضية في قصور ملوك فرنسا . ومع ذلك فان المسيو بوانكاره أنف من الخضوع لها

وهبْ سلّمنا بوجوب العمل بمقتضى قواعد الرسميات في بعض الحفلات التي تقتضي تصدُّر رئيس الجمهورية فيها ، كالأعياد العمومية واستقبال رؤساء الحكومات الاجنبيـة وسفرائهم ، فلا يمكننا التسليم بضرورة بقاء ذلك الرئيس مقيداً بتلك القواعد في معيشتهِ البيتية

في جلسة عقدت في ٢١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٧٩٢ اقترح مانويل ان يقيَّد زعيم الجمعية العمومية بقواعدَ رسمياتٍ تُعيد الى الذهن ذكرى بعض القواعد التي كانت مرعية في عهد الملكية الملغاة . فللحال ارتفعت أصوات الاعتراض على اقتراحه وأُقبح النكير عليهِ بالصوت الحيّ . وكان من جملة مقال تاليان في ذلك الصدد :

« اني ليدهشني تباحثكم في أمر الرسميات . فلا يمكن ان يوضع موضع المناقشة

استئثار رئيس الجمعية بميزةٍ خاصة حين لا يكون مزاولاً لأعمال منصبهِ . وهو حين يكون خارج هذه الردهة يعتبر فرداً من جملة أفراد الأمة »

وكأننا بالمسيو بوانكاره يرغب، حين هو لا يزاول أعمال الرئاسة، في ان يكون حرًّا يتصرف في أعماله كفردٍ بسيط من أفراد الأمة . فكأن روح أجدادهِ قد تقمصت فيهِ فدعتهُ الى اجراء ذلك العمل الذي استوجب له الثناء

يرجع أصل الرسميات في فرنسا الى الملك فرنسيس الاول (١٤٩٤–١٥٤٧) وقد كان ملوك فرنسا قبله على غاية من البساطة في معيشتهم . فأراد هذا الملك ان يقتدي بمناظرهِ العاهل شارل الخامس في الأبهة والعظمة الموروثتين عن أجدادهِ دوقات برغونيا

هذا كان بدء ادخال الرسميات الى بلاط فرنسا . وقد زادها هنري الثالث تعقيداً . وأما هنري الرابع فانهُ بذل المجهود لجعلها بسيطة . وعالج مناوأتها غير مرة . غير ان ماري المديشية زوجتهُ كانت من قوم شديدي الاستمساك بأهداب الرسميات فانتصرت لها ، وزادتها تعقيداً على تعقيد

وكانت الرسميات في بلاط لويس الرابع عشر من أصعب الامور المقضي على الانسان العمل بها . فلم يكن الملك يُجري حركة أو اشارة الاّ و يبادر الى قضاءِ أمره شخص من الاشخاص المعينين لتلك المهمة بموجب قانون الرسميات

فاذا نهض الملك من السرير ، قضت الرسميات على بعض الاشخاص ان ينهضوا باعباءِ خدمتهِ . فهذا يقدّم له قميصهُ ، وذاك سراويلهُ . واذا جلس الى المائدة ، قام على خدمتهِ جمهورٌ من رجال البلاط يقدمون له بالتناوب ألوان الطعام وأنواع الشراب

فكانوا يأتونهُ بالشواءِ في حفلة منظمة ؛ فيسير في المقدمة جنديان يحمل كلٌّ منهما رمحاً على كتفهِ . و يتلوهما خادم يحمل الشواءَ يتبعهُ أربعة من الحراس يحملون البنادق على اكتافهم . وكل ذلك لأجل قطعة من اللحم المشوي . ولو كانت هذه

الحفلة تزيد في لذة الطعام لكانت مغتفرة . ولكنها كانت تذهب بلذتهِ لأن الطعام كان يبرد في اثناء ذلك

وظلت تلك الحفلات الرسمية المستهجنة معمولاً بها حتى اتقدت نيران الفتنة الكبرى فأخذت الملكة ماري انطوانت ، زوجة الملك لويس السادس عشر ، منذ قدومها الى الديار الفرنساوية، تتذمر من تلك الرسميات برسائل كانت تخطها الى والديها . ولما زُجّت في السجن بعد الثورة قالت : « اني استفدتُ شيئاً من الثورة فقد تخلصتُ من الرسميات »

فليحكم القارئ من الحادثة الآتية عما اذا كانت الملكة مصيبة او مخطئة في قولها هذا :

حدث ذات يومٍ من أيام الشتاء أن الملكة ماري انطوانت كانت تغيّر ملابسها وقد تعرّت ، واوشكت ان تلبس قميصها . وكانت عقيلة كامبان قيّمة غرفة الملكة حاملة القميص مطويًّا . فدخلت احدى نساء الشرف ، ونزعت قفازيها ، وتناولت القميص من القيّمة — ولا بدَّ من ان يعلم القارئ ان الرسميات كانت تقضي على كل شخص يقدّم شيئاً ما الى الملك او الملكة بأن يكون عاري اليدين — فأخذت سيدة الشرف القميص وهمت باعطائهِ الى الملكة . واذا بالباب يُحكُّ — وينبغي للقارئ ان يعلم ايضاً انهُ لم يكن يجوز لأحد ان يقرع باب الملك او الملكة ، بل كانت الرسميات تقتضي ان يُحكَّ الباب قبل فتحهِ — فتح الباب ودخلت دوقة اورليان — وهنا تبدو صعوبة أخرى وهي ان قواعد الرسميات كانت تقضي بأنهُ اذا دخل على الملك أميرٌ من الأسرة المالكة ، او دخلت على الملكة أميرة من بيت الملك ، حين يكون الملك او الملكة يلبسان ثيابهما ، كان من حقّ الأمير او الأميرة ان يقوما مقام السيد او السيدة المنوط بهما أمر تقديم الملابس للملك او الملكة

دخلت دوقة اورليان ونزعت قفازيها ، وهمت بأخذ القميص من سيدة الشرف . ولكن الرسميات لم تكن تجيز لهذه السيدة اعطاءها القميص فأعادتها الى

عقيلة كامبان وهذه ناولتها للأميرة . وبينا هنَّ على تلك الحال حُكَّ الباب مرة أخرى ، وولجت كونتة بروفانس ؛ ولما كانت هذه الأميرة سلفة الملكة كان لها الأفضلية على دوقة اورليان فسلمت القميص اليها . وفي اثناء ذلك كانت الملكة العريانة ترتجف من شدة البرد . وكل ذلك كان لئلا تتخطى حدود قواعد الرسميات . ولما رأت عقيلة كامبان ان الأمر قد طال . وانهُ يُخشى ان تصاب الملكة بزكام من ذلك البرد ، وان قواعد الرسميات لا تدفع عنها غوائله الذميمة ، تناولت القميص وبادرت الى إلباس الملكة دون ان تنزع قفازيها ، ودون ان تحترم قبّة الشعر العالية المبنية فوق رأسها . فتبسمت الملكة لعمل عقيلة كامبان ، وان يكن قد ساءَها من جهةٍ خرق حرمة الرسميات

* * *

قال الكاتب بولس لويس كوريه : ان الرسميات تصيّر الملوك عبيداً للبلاط . ولقد أصاب وايم الحق هذا الكاتب في قوله ، لأن اولئك الملوك لم يكونوا يستطيعون ان يخطوا خطوة واحدة ، أو يبدوا أدنى اشارة ، دون ان يتدخل للحال في أمرهم انسان ليس منهُ فائدة

ومما هو أغرب من ذلك ان هذه الرسميات مع صرامتها في بعض الشؤون العادية كانت في غالب الأحيان مهملة في أمور كثيرة عظيمة الأهمية

كان للملك لويس الخامس عشر عدد كبير من الخدام القائمين على خدمته في لبس ثيابهِ وعلى المائدة وغير ذلك . ولكنهُ لم يكن لديهِ خادم يوقد النار في غرفتهِ ليدفئها . وقد قال لعقيلة دي باري انهُ كان غير مرة في فصل الشتاء يضطرّ بذاتهِ الى ايقاد النار في غرفتهِ ليصطلي عليها

أقبح ما في الرسميات ان المقرّبين من الملك كانوا يضربون حولهُ نطاقاً يحول دون وصول الحقائق اليهِ ؛ فيبقى بينهُ وبين الشعب حاجزٌ حصين ، فالرسميات التي كانت تحجب حاجات الشعب وأمانيهُ عن علم الملك ، كانت داعياً الى اضرام نيران الفتن . فقد حدث في اسبانيا من الفتن ما لم يحدث في غيرها من البلدان .

ويعزى ذلك الأمر الى الرسميات التي يُعمل بها في تلك المملكة أكثر مما يُحافظ عليها عند سواهم من الشعوب

وقد نظم ڤيكتور هوغو الشاعر الفرنساوي المشهور عقد رواية حسناء سماها « روي بلاس » أدار رحى الكلام فيها على قطب الرسميات ، وما يتخللها من العادات التي يمجُّها الذوق السليم ، دون ان يركب مركب المغالاة ، او يتمادى في المبالغة بهذا الموضوع

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، نورد هنا نكتتين لطيفتين تأتيان مصداقاً لما نحن في صددهِ : أمر ملك اسبانيا في خالي الحين أن يقدّموا للملكة جياداً من كرام الجياد الاندلسية لتختار منها فرساً كريماً . فانتقت منها جواداً مطهماً وركبتهُ . ولم تكد تمتطي صهوتهُ حتى جعل يرفس ، فهوت الى الأرض وبقيت رجلها معلقة بالركاب . فأجفل الحصان جامحاً ، وجرّ وراءه الملكة . وكان ذلك الأمر في عرصة القصر والملك ينظر من الشرفة ، والاضطراب والقنوط بالغان منهُ . وكان في العرصة عدد غير قليل من الخفراء ورجال البلاط ينظرون الى الملكة ولا يجسرون على الدنو منها لتمليص رجلها من الركاب لأنهُ كان محظوراً على أيٍ من الناس ان يمسّ شخص الملكة ولا سيما رجلها

وكان ثمت فارسان اسبانيوليان ، فدفعتهما الحمية الى انقاذ الملكة ولو سامهما ذلك الأمر الى اقتحام غمرات الحمام . فقبض أحدهما على لجام الحصان وأوقفهُ ، وملص الآخر رجل الملكة من الركاب . ثم انهما برحا القصر لساعتهما مسرعين الى منزلها ، وأسرجا جوادين ، وتركا المدينة هاربين من غضب الملك

وفقد في اسبانيا أيضاً أحد الملوك حياتهُ بسبب تمسكه وتمسك رجال بلاطهِ بالرسميات . وذلك انهُ كان للملك فيليب الثالث موقد في غرفتهِ أضرمت فيهِ النار وارتفع لهيبها . فاندلع لسانها اندلاعاً كاد يحرق وجه الملك . وحدث أن الشخص الموكول اليهِ أمر العناية بتلك النار كان غائباً . فلم يدر في خلد أحدٍ من الحضور في حضرة الملك ان يقوم مقامهُ . وظن الملك ان كرومة مقامهِ تمنعهُ الابتعاد عن تلك

النار او ابعادها عنهُ . ولذلك ظلَّ قاعداً على عرشهِ حتى أثرت بهِ النار تأثيراً أحرق وجههُ ، وكان سبباً لوفاتهِ بعد بضعة أيام

اما الملكة فكتوريا الانكليزية فقد كانت أعقل من ملك اسبانيا من هذا القبيل ؛ فان في عملها والكلمات التي فاهت بها في الحال التي سنبينها ، انتقاداً مرًّا لتلك الرسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان

كانت الملكة فكتوريا ذات ليلةٍ جالسة في ردهة من ردهات قصرها وقد التفت حولها عصابة من الامراء والاميرات وكبار رجال المملكة . فجعل المصباح يدخّن . فنهضت الملكة وخفضت الذبالة . وكان من وراء عملها هذا دهشٌ شديد استولى على الحاضرين . فصاحت احدى سيدات الشرف : أو مثل جلالتك تتنازل بذاتها . . . فأجابتها الملكة : نعم . فلو اني قلت ان القنديل يدخّن ، لكانت سيدة من سيدات الشرف قالت للحاجب : ألا ترى يا حضرة السيد ان قنديل الملكة يدخّن ؟ وحينئذٍ كان هذا الاخير ينادي خادماً لاصلاحهِ . ولا يخفى ان هذا الامر يستغرق وقتاً من الزمان يمكن ان يلتهب القنديل في خلاله . ولذا قد آثرت تولّي اصلاحهِ بذاتي . . .

وقد انتسخت الرسميات أو كادت في عصرنا من قصور الملوك في بلدان أوروبا الشمالية . ففي كوبنهاغن أو ستوكهولم أو كريستيانا لا يتعجب أحد من رؤيتهِ الملك يتنزه وحدهُ في الشوارع حاملاً عصاه بيده ، أو يركب الترامواي كأنهُ من سوقة الناس . وأما الرسميات في بلدان أوروبا الجنوبية فانها لا تزال مرعية كما كانت في الماضي . وهي تعتبر ارثاً اتصل بالشعوب اللاتينية من بيزنطة

وعندنا ان أفضل شيء هو ما جرى عليهِ القوم في أوروبا الشمالية من البساطة في المعيشة . والتحرر من قيود الرسميات الثقيل . ورحم الله مرمونتل القائل « فلنهزأ بالرسميات ، وبالتربة التي أنبتتها »

— الياس طنوس الحويك

يوسف شكور باشا [١]



أيها السادة !

عادة الاعتذار عن التقصير أصبحت من مبتذلات العادات في مستهل كلام الخطباء . غير انكم تغتفرون لخطيب اليوم أن يجري عليها ، اذ لا يرى مندوحة عنها ، فيسألكم المعذرة اذا بقيَ دون المقام الذي يجب ان يكون فيهِ . كيف لا ويحقّ لأيّ خطيبٍ ان يتهيَّب هذا الموقفَ أمام مثل هذا المحفل الحافل بوجوه البلاد أدباً وعلماً ومقاماً ، ويُحجمَ إزاءَ الموضوع الخطير الذي دُعيت للكلام فيهِ . بل إنني أمام

(١) ننشر التأبين الذي لفظه منشيء هذه المجلة في حفلة الاربعين التي أقامتها جمعية المساعي الخيرية المارونية في ٢١ فبراير المنصرم تذكاراً للمرحوم المغفور له يوسف باشا شكور

هذا الجمع الموقَّر ، وفي تكريم فقيدنا الجليل ، لا أرى أجدر من ذلك الفقيد نفسهِ بالوقوف مؤبناً وخطيباً ، يجول جولاته المعروفة ، ويتدفق بفصاحتهِ المشهورة

على أنهُ اذا كانت يد الموت قد عقلَتْ ذاك اللسان الزلق ، وأخمدت ذلك الصوت العالي ، وأبلت ذيّاك الصدر الرحب ، فلا أقلَّ من ان تسمعوا اليومَ صوتاً — ولو ضعيفاً — يندبُ تلك المناقبَ الغراء ، ويرثي هاتيك الهممَ الشماء ، فيترامى هـذا الصوت الضئيل الى مسامعكم ، كما يترامى الصدى محمولاً على تموّجات الهواء

أيها السادة

عقدت الجمعية الخيرية هذه الحفلة ، ودعتكم اليهـا ، قياماً بالواجب عليها نحو رجل تفتخرُ بأن تعدّه من أعضائها ، وإحياءً لذكر فردٍ تعتزّ أمتهُ بأنهُ كان من أفرادها . ولستُ أدَّعي الإتيان على سرد حياة فقيدنا الكبير ، وحياتهُ كانت حياةً عمومية عرَفهـا القاصي والداني ؛ كما انني لا ابغي تعدادَ مناقبه وخلاله ، وأنتم أعرَف بها ، وما فيكم الاَّ القريب والصديق والرفيق . ولكنَّ في إعادة ذكر السلف تنشيطاً للخلف ، وفي تمجيد فضائل السابقين إرشاداً وعظة للاَّحقين . وما أحوَجنا ، شبيبـة اليوم ، الى مثل هذه الامثال الناجعة ، تستفزُّ هممنا ساعة الخمول ، وتبعث فينا روحَ الإقدام وقتَ اليأس ، وتضيءُ طريقنـا إبَّان الظلام ، وترفعُ رؤوسنا الى العلى في عصر الماديات . وما أجمل المثل الذي يتجلى لنا من هذا القبيل في حياة ابن شكور ، وهي صورة الاخلاص والنزاهة ، وعفة

النفس ورحابة الصدر ، والإقدام والذكاء والهمة العلياء

تالله ! إن من كانت هذه حياته ، يحق لأسرتهِ ، بل لأمته ، ان يعظُمَ في عينها مماته ، فتقدرَهُ حقَّ قدره ، وتذرف العبرات على قبره . وهذا ما تفعله اليوم أسرته ، وطائفته ، وأمته . بل يبكيهِ وطناه : وطن سلالته ، ووطن نشأته . فيحقُّ ان يُقال فيهِ ما قال شوقي في موت احد نوابغ رجالنا :

حلَّ بالأمتين خطبٌ جليلُ　　رجلٌ مات والرجالُ قليلُ

* * *

أيها السادة

من الصفات الكثيرة التي عُرِف بها فقيدنا ، يلذُّ لي أن اقف عند اثنتين وهما : نزاهتهُ وهمته اللتان لم يختلف فيهما اثنان . وقد ورث هذه المناقب عن النبعة الكريمة التي يتحدَّر منها ، وسهر على هذا الارث الادبي الثمين سهرَ الحريص على درهمهِ . فلم يسمح بأن تمتد اليه يدٌ ، أو أن تشوبه شائبة . فجمع بين تليد المروءة وطارفها . وخدم مصر وأميرها خِدَماً صادقة ، كما خدمهما ذووه من قبله . فان جده الأكبر ، شكور كنعان ، هاجر من جبل لبنان — وكم انبت هذا الجبل الأشم من الفروع الكريمة ! — وجاء مصر مع أخيه يوسف كنعان شكور . فدخل هذا في خدمةِ الطيب الذكر الخالدِ الأثرِ ، محمد علي باشا الكبير . فعرف ذلك النابغة قدر ابن شكور اللبناني — ومن أعظم مزايا كبار الرجال معرفة قدر الرجال — فدرَّ عليه نعماءه ، وولاَّه ادراة دار الضرب ، ثم

عهد اليهِ تنظيم جمارك دمياط ، ولا تزال آثار همته ونزاهته مدوَّنة في تاريخ مصر . وقد توارث ابناؤه تلك الهمة والنزاهة ؛ ويا ما أجملَ ما تجلتا بهِ في شخص حفيدهِ — فقيدنا ، منذ درج من مهده ، حتى أُدرج في لحده . فكان هماماً نزيهاً ، وهو يوسف شكور التاميذ ؛ وكان هماماً نزيهاً ، وهو يوسف افندي شكور الموظف بالمالية ؛ وكان هماماً نزيهاً ، وهو يوسف بك شكور المراقب في الأموال غير المقرّرة ؛ كما عرفه الجميع هماماً نزيهاً ، وهو يوسف باشا شكور مدير بلدية الاسكندرية ؛ كما ظلّ هماماً نزيهاً في خطبه وكتاباته : خلتان عرف بهما يافعاً وشاباً وكهلاً وشيخاً

وغنيٌّ عن البيان أنّ هاتين الخلتين لا تنتجان الاَّ عن فضائل جمة مستكنة في الصدر ؛ كما انهما تُنتجان فضائل جمة تتجلى بها النفس : فالنزاهة تفرض الاخلاص وسلامة النية وطهارة الطوية ؛ والهمة تفرض الذكاء وعزة النفس والميل الغريزي الى الأمور السامية . ومن هذه وتلك يتولد شرف المبدإِ والترّفعُ عن الدنايا والرمي الى عظائم المقاصد . وقد برهن فقيدنا الكريم على ذلك في كل طورٍ من أطوار حياته وشهد له بذلك كلٌّ من عرفه من رئيس ومرؤوس

ففي مدرسة ليون الكبرى ، حيث تلقى دروسه ، كان آيةً في الذكاء والاجتهاد ، حتى بزَّ أقرانه ، ونال قصبات السبق في لغة الاجانب على أبناء تلك اللغة ؛ فعاد مكللاً باكاليل الغار ، حاملاً شهادة البكالوريا العلمية

وفي نظارة المالية ، أظهر من المقدرة على العمل والدراية في الأمور ما لفت اليهِ نظر رؤسائهِ ، ففتحوا له باب التقدم سريعاً . فولجه ، وهو

على تمام الاستعداد ، وأخذ يصعد في درجات الترقي قفزاً ، حتى صار مراقباً في الأموال غير المقررة . وعرف رياض باشا ونوبار باشا الطيبا الذكر قدر ذلك الموظف النزيه النشيط ، فولّياه أمور مالية صعيد مصر

ولما صحت العزيمة على انشاء بلدية الاسكندرية المختلطة سنة ١٨٩٠ ، رأت الحكومة ان تعهد بهذه المهمة الى رجل كفوء للقيام بها ، فوقع اختيارها على يوسف شكور بك . فنظّم تلك البلدية أحسن تنظيم ، واشتهرت مقدرته ودرايته بين الوطنيين والاجانب ، حتى رأت الحكومة ان تعين مديراً لأول بلدية مصرية دولية ذاك الذي أنشأها ورتب شؤونها . فذلل ما كان هناك من الصعاب ، وأزال ما كان من العقبات . وظلّ في تلك الوظيفة عاملاً مجتهداً ، مدة اثنتي عشرة سنة . وخرج منها طاهرَ الذيل، ناصع الجبهة ، مخلّفاً في تلك المدينة — وهي مسقط رأسه — مآثر غير دواثر تنطق الى الابد بجليل عمله وعظيم نزاهته واخلاصه .

وقد يطولُ بي تعداد ما أتاه هناك من الاعمال الخطيرة والاصلاحات الجليلة ، حتى بات لا يذكر اسم الاسكندرية والاصلاح فيها الا ويُقرن باسم شكور باشا . وقد رأت تلك البلدية بعد موتهِ ان تُطلق على أحد شوارع المدينة اسم رجلها الكبير ومصلحها العظيم . ويا نعم ما فعلت !

وفي سنة ١٩٠٣ غادر خدمة الحكومة نهائياً . على ان تلك النفس الكبيرة الناهضة أبت التمتع بالراحة التي استحقتها بعد جهادٍ طويل ؛ فتولى شكور باشا ادارة شركات مالية مختلفة . أزهرت على يده وأثمرت ؛ وكانت برهاناً جديداً على علوّ همة الرجل، ومضاء عزمه ، وثاقب فكره .

ورأى من الواجب عليهِ ان يخدم مصر ، حتى آخر رمق من حياته ؛ فعكف على خدمتها بقلمه ولسانه . فكان ذلك الكاتب البليغ الذي لا يُجارى ، وذياك الخطيبَ الفصيحَ الذي لا يبارى . فشغل ساعات فراغهِ بتحبير تلك المقالات الشائقة في مواضيع اقتصادية وعمرانية ومالية . وكم كان له في هذا الميدان من الجولات الصادقة ، والآراء الصائبة ، التي تناقلتها صحف البلاد . وكم سمعناه في المحافل العمومية قارعاً أعواد المنابر يتدفق كالسيل الجارف ، بفصاحته السلاّبة ، وبلاغتهِ الخلاّبة . فكانت شباة قامه كنصل الرمح أو أقوى ، وحدُّ لسانهِ كحدِّ السيف أو أمضى . وقد أخلص في خدمة سموّ اميرنا العباس ، كما أخلص جدُّه من قبل في خدمة جد الأسرة الخديوية الكريمة

شهد له بما سردتُ وعددت من جليل الأعمال وباهر الصفات كل من عرفه — وما هم بالنزر اليسير من وطنيين وأجانب . وقد ذكره اللورد كرومر في تقاريره الرسمية اكثر من مرة بالخير والثناء . ومما قاله فيه — ومثل هذه الشهادة لا يستهان بها : « ان مدير عموم بلدية الاسكندرية ، يوسف شكور باشا ، رجلٌ سوري ذو نشاط كبير ودراية عظيمة . ولا شك في ان اصلاحات خطيرة قد تمت على عهده في مدينة الاسكندرية ، ويجب عليّ أن أجاهر بأن تحريات لجنة التحقيق لم تتمكن من وجود ما يشين نزاهة شكور باشا . على أن تلك النزاهة لم تكن قط موضوع الريب »

هذا قليلٌ من كثير ، أيها السادة ، مما عرف به فقيدنا الكريم .

ولكنت استوقفكم طويلاً ، لو شئت أن أدرس حياته كموظف وكرجلٍ وكمفكر . ولذلك أكتفي بأن أقولَ بالاجمال : ان تلك الحياة كانت صفحة ناصعة البياض ، لم تخط فيها الاَّ سطور الهمة والنزاهة والشهامة والمروءة

واني لاذكر ابداً آخر مرة قابلته فيها ، وكان يُعد مقالاتٍ ضافية في بعض المواضيع الاقتصادية الوطنية ، ولا أزال أرى ذاك الذكاء اللامع ، وذلك الاخلاص المجسَّم ، وهو يشرح نظريته ورأيه في ذاك الموضوع الحيوي . كما انني لاأزال اذكر آخر مرةٍ سمعتهُ فيها خطيباً ، وقد وقف يؤبن أحد عظماء رجالنا ، فكان ينادينا بأعلى صوته « الى العلى ! الى العلى . . ! » . وكأني الآن بروحه الطاهرة تشرف علينا من الأخدار العلوية وتنادي بنا « الى العلى ! الى العلى . . ! »

الى العلى ! يا سادتي . فلتكن هذه الكلمة شعاراً لنا . . الى العلى ! يا شبيبة الشرق الناهضة . فلتكن هذه الآية السامية العظة التي نستخلصها من حياة ذلك الرجل الكبير . الى العلى ، في أقوالنا وأعمالنا ! الى العلى ، في مقاصدنا وآمالنا ! . . .

النهر

ونهرٍ حالفَ الأهواءَ حتى غدا طوعاً لها في كلّ أمرِ
اذا سرقتْ حُلى الأزهارِ ألقتْ اليهِ بهـا فيأخذُها ويجري

عبد العزيز الانصارى

ثمرات المطابع



احمد افندى الكاشف

* ديوان الكاشف [١] — أحمد افندي الكاشف شاعرٌ من شعراء

---

(١) طبع بمطبعة « الجريدة » عدد صفحاته ١٢٥ وثمنه ٥ غروش ويطلب من ناظمه في مصر شارع الركبية

مصر المعدودين ، يشهد له حافظ ابرهيم بانه « مستقلٌّ في بيانهِ ومبداءِ وجدانهِ » ويرى شوقي في شعرهِ « روح الاخلاص » كما يرى اسماعيل صبري ان في ذلك الشعر « ما يستحقُّ ان يقف له القارئ إعجاباً واجلالاً » ، ويقول خليل مطران ان الكاشف « يلقي اليك أبياتاً شائقة اللفظ ، شريفة المعنى، متينة القوافي » ويرى السيد المنفلوطي ان الكاشف « الشاعر الوحيد الذي عرف الناس من أمره انه اذا نطق فانما ينطق بلغة نفسهِ ، واذا حدّث فانما يحدّث عن حسهِ » وينعته احمد محرّم بانه « صادق الاسلوب ، واضح السنن ، صافي العبارة » ويقول فيهِ صاحب المنار انه « ينظم الشعرَ للذة نفسهِ ، وإمتاع وجدانه »

وقد شهد للكاشف بذلك كل من قرأ شعره ، ودرس نظمه . ولكننا أوردنا أقوال مشاهير شعرائنا وكتّابنا لنزيد القراء معرفة بالشاعر الذي ننشر اليوم رسمه بمناسبة اهدائهِ الينا الجزء الثاني من ديوانه

وقد امتاز الكاشف على معظم الشعراء بانه يرمي في قصائده الى تأيد آراء خصوصيـة ومذاهب له في السياسة والدين ، فهو يدعو الى الجامعة الاسلامية ، وتحرير الشرق ، وتأييد الخلافة في بني عثمان ، وقد يحدو بهِ ذلك أحياناً الى الغلوّ والتشيع ، مما يجعله شاعر فئةٍ مخصوصة ، يطربُ لشعره بعض الافراد ، لا شاعراً اجتماعياً تهتزّ لأقواله أمة بأسرها لما تتضمنه من الدروس العمرانية ، والابحاث النفسية كما هي حقيقة وظيفة الشاعر. ولكن في اخلاص الكاشف لا كبر شفيع له . وهو من هذه الوجهة اكبر وأسمى في القسم الثاني من ديوانهِ منهُ في القسم الاول

وقد أهدى الكاشف ديوانهُ الى سمو عزيز مصر ، فكانت هذه الهدية من جملة الأدلة على اخلاصه المأثور للاريكة الخديوية التي طالما نظم فيها القصائد الغراء

* علم الاقتصاد [١] — الثروة ركنٌ من أهم اركان المدنية الحديثة ، بل قاعدة من أثبت القواعد التي قامت عليها أمم اليوم وعليها طبّقت قوانينها ونظاماتها . ولذلك أصبحت حياة البلاد في علم الاقتصاد الذي يبحث في تلك الثروة وكيفية استحصالها وتقسيمها وتداولها واستهلاكها . ولا يزال هذا العلم الذي وجّهت اليه اوروبا عنايتها متقهقراً بل معدوماً في بلاد الشرق ، مع ما يتعلّق عليه من الفوائد الجلّى . وقد سرّنا أن رأينا حضرة الحقوقي الفاضل رفيق افندي رزق سلوم يتناول هذا الموضوع الجليل ويدرسهُ درساً جلياً وافياً في كتابٍ وضعهُ لهذا الغرض ، أورد فيه زبدة اقوال العلماء الاقتصاديين وارائهم فيما يتعلق بالثروة والتجارة والصناعة والزراعة ورأس المال والعمّال والاحتكار والشركات الخ . واننا نبتهج بأن نرى ناشئتنا التي تتلقى العلوم العالية في اوربا تعود الينا وهي حاملة بذور العلم الصحيح فتبذره في ربوعنا لتعدّ للغد حصاداً طيباً . فنهنيء رفيق افندي ونثني على عمله واجتهاده

والكتاب مهدى الى حضرة السيد عبد الحميد افندي الزهراوي

* التربية والتعليم [٢] — مهما كثرت الابحاث في هذا الموضوع

(١) طبع في حمص بمطبعة بني عدد صفحاته ١٢٨ وثمنه ربع ريال

(٢) طبع في مطبعة التقدم بمصر عدد صفحاته ١١٤ وثمنه ٥ غروش

الجليل لا نزال في حاجة الى المزيد ، ولا سيما الى ما كان منها وافياً بالمقصود قائماً على نظرية صحيحة . ومن هذا النوع كتاب «التربية والتعليم» لحضرة الباحث الفاضل محمد افندي امين ، وقد شخّص فيه علّة الأمة ووصف لها الدواء الناجع في جميع أطوارها : في البيت ، وفي المدرسة ، وفي المجتمع . والتربية البيتية هي أساس التربية . وعماد البيت المرأة . ومن أقوال المؤلف : « أرأيت بيتاً يتلألأُ ضوءُ السعادة بين حيطانهِ ، وتحطّ السكينة والطمأنينة بين جدرانهِ ، ويبزغُ نور الهدى من خلال بنيانهِ ، وتحفُّ بهِ الملائكة صفاً صفاً ، ثمَّ لم يكن مركز دائرتهِ امرأة صالحة ! »

ونحن نشكر لمحمد افندي امين توفيقهُ في هذا البحث المفيد ، ونرجو لمؤلَّفهِ كل رواج . ومقدمة الكتاب مدبّجة بيراع حضرة الاستاذ احمد لطفي بك السيد مدير « الجريدة »

* مذكرات حي[1] — هي صفحة من حيـاة أحد شبان العصر المتألمين ، لصاحبها الأديب الياس افندي منسى ، وقد أملاها عليه قلب جريح يشكو من الزمان واهلهِ مرّ الشكوى ، وكتبها بقلم كثيراً ما مزج الدموع الحارة بمدادهِ ، فجاء الكتاب من أوله الى آخره زفرات متصاعدة ، وأنفاساً متحرّقة ، وأنيناً مؤلماً . على انه اذا كانت القلوب قلقة في الصدور في سن الشباب ، لأنها تتغذى بالأحلام التي يصعب تحقيقها ، أو لأنها تنبض خفّاقة كلما مست يدُ المصائب أوتارها ، فلا يحسن بها ان تستسلم الى اليأس ، وتضيع في وهاد القنوط . بل يجب ان يكون للعقل سلطة

(١) طبع بمطبعة الاخبار وثمنه ٥ قروش صاغ

على العواطف فلا تجمح بصاحبها جموحاً قد يضرّ به . ونحن نأمل « لمذكرات حيّ » إقبالاً من القراء يمهد لمؤلفها السبيل الى نشر مذكرات أخرى تكون ثورة العواطف فيها قد سكنت واضطراب الفؤاد قد هدأ

* ذكرى الحبيب[1] — هي مجموعة المراثي التي قيلت في الأديب المرحوم حبيب الجمّال، وقد جمعها اخوه الآسف حضرة القانوني الفاضل ابراهيم افندي جمّال صاحب جريدة « الحقوق » وأودعها شيئاً مما نظمه وكتبه في فقيدهِ الحبيب ، فنسأل لرصيفنا العزاء ولشقيقه الرحمة

* الزّهرات[2] — للاستاذ يوسف افندي الفاخوري مقام كبير بين حمَلَة القلم في سوريّا . فهو كاتب شاعر عُرِف بالاجادة في هاتين الصناعتين . والزهرات ، وهي مختارات من نظمهِ ونثرهِ تؤلف باقة جميلة جمعت من روضة أدب غضّ

ازهار واشواك

درس في الجغرافيا

قرأت الفصل الجغرافي الآتي في جريدة البيان النيويركية ، أورده كما هو ، تاركا لذكاء القارىء معرفة البلد المقصود . قال الكاتب :

. . . بلاد من بلاد الله يحدّها شمالاً بحر حب الوظائف ؛ وجنوباً مملكة الذّل ؛ وشرقاً نهر الجهل ونهر التعصب ؛ وغرباً جزيرة الزعامة ؛ وفيها بحيرة تدعى بحيرة الاحزاب ؛ ويخترق تلك البلاد جبال شامخة تدعى

(١) طبع بمطبعة المعارف بالفجاله (٢) طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت وثمنه ١٢ قرشاً

جبال الموارِبة ؛ وفيها سهول اختلف الجغرافيون في تسميتها فبعضهم يسميها سهول الخبث ، والبعض الآخر يطلق عليها اسم سهول الخداع ، ومن مدن هذه البلاد مدينة الكذب والتدليس ، والخضوع للحاكم

تجارة تلك البلاد النفاق والشقاق — ولكن الاهلين وجدوا ان هذه التجارة كادت تذهب بأموالهم فتركوها ، وهم الآن يتاجرون بالحرية والمساواة والصدق — وأصبح عندهم بورصة هي بورصة الحب والسلام

أما مزروعات هذه البلاد فمخصبة جداً ؛ زرعوا في الماضي الجهل فحصدوا الاختلافات ، وهم الآن يزرعون العلم لأنهم وجدوا أن غلاله أجود غلة ومبيعاته في الداخل كثيرة وللخارج اكثر

وفي هذه البلاد معادن كثيرة ، منها معادن اللطف والظرف والجمال ، ومنها معدن العفاف والكرم ، وقد بدأوا باستخراج هذه المعادن من عهد قريب

المرأة والمرآة

لي حديثٌ اتجاذب وقارئاتي أطرافهُ وذيولهُ من حينٍ الى حين ، فتارةً يرضيهنَّ ، ويُغضبهنَّ تارةً ، وأنا على كل حال أجدُ فيهِ بعض اللذَّة ، لأن معاكسة الاصدقاء ، أو مداعبة الصديقات — تحلو كما تحلو المسامرة والمجاملة . وهذا الحديث هو عن المرأة . — وحديثها أو حديثٌ عنها يطربني . حديثي عن المرأة والمرآة — ولو كنت من علماء الاشتقاق والنحت لوجدت بين اللفظتين قرابةً لغوية فوق القرابة المعنوية .

والمرأة بطبيعتها ميّالة الى المرآة ، وقد اخترعتها منذ عهدٍ بعيد . فانّ أُمنا حوّاء — عليها أشرف السلام — قد اتخذت لها من مياه النهر الصافية مرآةً تستشيرها في معاني جمالها ودلالها ، وكذلك فعلت بناتها وحفيداتها ، قبل ان يخترع علماء الكيمياء — إرضاءً للمرأة — ذلك الطلاء الذي طلوا به الزجاج فجعلوه يعكس ما يُعرَض أمامه من الصوَر

والمرأة أمينة لمرآتها ، ثابتة على صداقتها . ودليلي على ذلك الاحصاء الذي وضعهُ أحد الثقات قال ، والارقام لذلك الرجل الثقة ، والتعليق لي :

تقضي الفتاة بين السادسة والعاشرة من عمرها ٧ دقائق كل يوم أمام مرآتها ؛ وبين العاشرة والخامسة عشرة ١٥ دقيقة ؛ ثم تشتدّ روابط الصداقة بين هذه وتلك ، فتقضي الصبية بين الخامسة عشرة والعشرين ٢٢ دقيقة ، وتزداد هذه العاطفة بين الخامسة والعشرين والثلاثين ، فتبقى في المرأة يومها أمام المرآة نصف ساعة ؛ ثم تأخذ هذه العلاقة بالتراخي ، فتنزل الجلسة اليومية أمام المرآة الى ٢٤ دقيقة بين الثلاثين والخامسة والثلاثين ، والى ١٨ دقيقة بين الخامسة والثلاثين والاربعين . والى ٦ دقائق فقط فيما بعد حتى الستين . فمن هذه الدقائق من حياة المرأة أمام المرآة يتألف مجموع ٣٤٩٥٧٤ دقيقة ، أي ٢٤٢ يوماً ونيف

أليس في هذا الثبات اكبر تفنيد لمن يتهم الأنثى بعدم الثبات ، وينسب الى بنات حواء التقلب في أميالهنّ وعدم الامانة . . ؟

ماصر